التبرک والتوسل والصلح

مع العدوالصهیونی فی رسالتین

فتح الله بن تقی النجار

بسم الله الرحمن الرحیم

التبرک والتوسل والصلح مع العدو الصهیونی فی رسالتین

کاتب:

فتح الله محمدی نجارزادگان

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

التبرک و التوسل و الصلح مع العدو الصهیونی فی رسالتین

اشارة

سرشناسه : نجارزادگان، فتح‌الله، ۱۳۳۷ - ،گردآورنده.

سقاف، حسن

سبحانی تبریزی، جعفر، ۱۳۰۸ -

عنوان و نام پدیدآور : التبرک والتوسل والصلح مع‌العدوالصهیونی: علی ضوء آراء: ۱- محمد واعظ زاده‌الخراسانی. ۲- عبدالعزیزبن‌عبدالله‌بن‌باز. ۳- حسن‌بن‌علی‌السقاف. ۴- جعفر السحابی/اعداد و تنظیم فتح‌الله‌بن‌تقی‌النجار.

مشخصات نشر : تهران: مشعر، ۱۳۸۶.

مشخصات ظاهری : ۲۱۵ ص.

شابک : ۸۵۰۰ ریال ۹۷۸-۹۶۴-۵۴۰-۰۳۲-۱:

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : دو مبحث آخر کتاب حاضر نقدی بر" التبرک والتوسل "...واعظ‌زاده‌خراسانی و ابن‌باز است.

یادداشت : کتابنامه: ص. ۲۰۹ - ۲۱۵؛ همچنین به صورت زیرنویس.

موضوع : سبحانی تبریزی، جعفر، ۱۳۰۸ - -- دفاعیه‌ها و ردیه‌ها.

موضوع : ابن‌باز، عبدالعزیز، ۱۹۱۲ - ۱۹۹۹م. -- نامه‌ها.

موضوع : واعظ‌زاده‌خراسانی، محمد، ۱۳۰۴ - -- نامه‌ها.

موضوع : سقاف، حسن، -- دفاعیه‌ها و دریه‌ها.

موضوع : واعظ‌زاده‌خراسانی، محمد، ۱۳۰۴ - .التبرک والتوسل والصلح مع‌العدوالصهیونیستی -- نقد و تفسیر.

موضوع : ابن‌باز، عبدالعزیز، ۱۹۱۲ - ۱۹۹۹م.التبرک والتوسل و الصلح مع‌العدوالصهیونیستی -- نقد و تفسیر.

موضوع : تبرک.

موضوع : توسل.

موضوع : صلح -- جنبه‌های مذهبی -- اسلام

موضوع : اسلام و صهیونیسم.

شناسه افزوده : Saggaf, Hasan ibn Ali

شناسه افزوده : واعظ‌زاده‌خراسانی، محمد، ۱۳۰۴ - .التبرک و التوسل و الصلح مع‌العدوالصهیونیستی.

شناسه افزوده : ابن‌باز، عبدالعزیز، ۱۹۱۲ - ۱۹۹۹م Ibn Baz, Abd al-Aziz ibn Abdallah. التبرک والتوسل و الصلح مع‌العدو الصهیونیستی.

رده بندی کنگره : BP۲۲۶/۶۵/و۲ت۲۰۸۴

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۶۸

شماره کتابشناسی ملی : ۱۰۴۸۸۸۲

ص: ۱

اشارهٔ

ص: ۲

ص: ۳

ص: ۴

ص: ۵

تقدیم

تبودلت منذ أمد رسالتان بین الشیخ محمد واعظ زاده الخراسانی الأمین العام للمجمع العالمی للتقریب بین المذاهب الإسلامیّة من الجمهوریة الإسلامیة الإیرانیة والشیخ عبد العزیز ابن عبد اللّه بن‌باز، الرئیس‌العام لإدارةالبحوث العلمیة والإرشاد والدعوة الإسلامیة والمفتی العام بالمملکة العربیة السعودیة. الرسالة الأولی بعثت من مکّة المکرمة، أیّام الحج فی ۱۱ ذی الحجة الحرام ۱۴۱۳ ه. ق، والرسالة الثانیة، صدرت إجابة للأولی من مکتب المفتی العام فی ۶ من جمادی الثانی ۱۴۱۶ ه. ق، رقم ۱۶۶۵/ ۱، أی بعد ما یقارب سنتین وبضعة شهور.

تناولت الرسالة الأولی مسألتین مهمتین شغلتا ولا

ص: ۶

تزالان الأوساط الدینیّة؛ ودور العلم فی البلاد الإسلامیة بل المجتمعات الاسلامیة عامة علی صعیدی الثقافة والسیاسة.

الأولی: مسألة التبرک والتوسل بالنبی صلی الله علیه و آله و سلم وبالأولیاء فی حیاتهم ومماتهم. وهذه المسألة أحدثت ضجّة بین المسلمین منذ قرون بین موافق أو مخالف لها إطلاقاً، أو مفصِّل بین ما إذا خلصت من شائبة الشرک فتجوز، وإلّا فلا، وقد نشرت حولها مئات الکتب وآلاف الخطابات والبحوث.

والأستاذ الخراسانی طرح المسألة علی أساس أنّها مسألة خلافیة بین المسلمین وحتی بین الصحابة أنفسهم، مشیراً إلی بعض ما یدعم رأیه، مؤکّداً علی أنّ مثل هذه المسألة الخلافیة سواء أجزناها أو رفضناها، لا ینبغی أن تکون مدعاة لتهمة الشرک ولا رمی القائلین بها إلی اعتقاد الشرک والخروج عن ربقة الإسلام.

المسألة الثانیة: حول الصلح مع العدو الصهیونی، الذی أجازه الشیخ بن باز فی بعض بحوثه إذا لم یکن فی إمکان المسلمین الحرب مع هذا الکیان، وإحقاق حقوق الشعب الفلسطینی من خلال القتال، استناداً إلی صلح النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم مع المشرکین فی الحدیبیّة. وقد شغل بحث الأستاذ

ص: ۷

الخراسانی حول هذه المسألة قسطاً کبیراً من رسالته، مرکزاً علی وجود فرق واضح بین صلح الحدیبیّة وبین الصلح مع الکیان الصهیونی من نواحٍ شتی (۱).

أجاب الشیخ بن باز عن المسألة الأولی مصرّحاً بوجود الخلاف فیها بین بعض الصحابة، ومفرّقاً فی التبرک بآثار النبیّ، بین ما مسّ بدنه فی حیاته وبین غیره بعد وفاته، فجوّز الأوّل استناداً إلی شواهد کثیرة، ومنع الثانی لعدم الدلیل علی جوازه، وقد أطال البحث حول هذه المسألة وما شابهها مستنداً إلی ابن تیمیة وغیره. ولکن الشیخ بن باز أمسک فی رسالته عن الإجابة عن المسألة الثانیة رغم أهمیّتها القصوی فی حیاة المسلمین.

وقد کتب الأستاذ حسن بن علی السقاف تعلیقاً علی الرسالتین، وجاءت أکثر تعلیقاته علی رسالة الشیخ بن باز، أوضح فیها أنّ الشیخ بن باز لم یتعرّض لجمیع جوانب المسألة، کما لم تکن الأدلّة التی أوردها فی منع التبرّک بآثار النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم والتوسّل بالأولیاء، تامّة. وأشار الشیخ السقاف أیضاً إلی عدد من الأحادیث الصحیحة المنقولة عن

۱- راجع أیضاً بحث الأستاذ الدکتور عبد الهادی الفضلی، تحت عنوان: الرأی الفقهی فی السلام مع إسرائیل، مجلة رسالة التقریب، العدد ۱۵.

ص: ۸

النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، والآثار الثابتة عن الصحابة الدالّة علی جواز التوسّل والتبرّک مطلقاً. کما ذکر أیضاً فی أثناء البحث إقرار جمع من أئمة السلف والحفّاظ علی جواز تلک الأمور.

ثم نعید نشر هذه الرسائل الثلاثة مرفقة برسالة رابعة للأستاذ الفاضل الشیخ جعفر السبحانی تحت عنوان «حوارات عقائدیة معاصرة» مع شرح وتفصیل فذکر خلاصة کلام المفتی الشیخ بن باز فی مقاطع مختلفة ثمّ یعرّج علیه بالتحلیل الواسع والدراسة الشاملة.

ونحن إذ نشکر الأساتذة لهذه الروح الأخویّة والحوار العلمی الذی جری بینهم فی المسألتین- رغم البون الشاسع فی وجهات النظر- بروح طیّبة واحترام متبادل، کما کانت علیه سیرة السلف الصالح من الصحابة الکرام وکثیر من التابعین وجلّ العلماء والعظام، رأینا أن نضع نص الحوار بین أیدی الباحثین لیکون نموذجاً للروح العلمیّة الموضوعیّة المتوخّاة فی مثل هذه المسائل الخلافیّة، علماً بأنّ مجلة «رسالة التقریب» (۱) نشرت رسالة الأمین العام الشیخ محمّد

۱- «رسالة التقریب» مجلة یصدرها المجمع العالمی للتقریب بین المذاهب الإسلامیة، فصلیّة متخصصة تعنی بقضایا التقریب بین المذاهب ووحدة الأمّة الإسلامیة.

ص: ۹

واعظزاده ورسالـة المفتى العام الشیخ بن باز فى العدد السادس عشر ۱۴۱۸ ه. ونشرت تعلیق حسن بن علیّ السقاف فى العدد السابع عشر ۱۴۱۸ ه.

وقد نقلنا من هذه المجلة کلتا الرسالتین مع تعلیقة الشیخ السقاف وأضفنا تعلیق الاستاذ الشیخ جعفر السبحانى وجمعناها فى کراس صغیر اشتمل على بعض الإضافات التى أوردناها على التعلیقـة، وتتضمن استخراج المصادر، وإیراد الشواهد، وبعض التوضیحات المناسبة فى الحاشیة. سائلین المولى تعالى أن یستفید من هذا الکراس جمیع المؤمنین والمؤمنات الذین یسعون دائماً للعمل بواجباتهم الشرعیة عن فهم وتحقیق لا عن تقلید وتعصّب أعمى. واللّه المعین وله الحمد فى الآخرة والأولى.

ص: ١٠

ص: ۱۱

التبرّک والتوسّل والصلح مع العدو الصهیونی

اشارة

بقلم:

الشیخ محمّد واعظزاده الخراسانی

فی حوار له مع الشیخ عبدالعزیز ابن باز

ص: ١٢

ص: ۱۳

رسالة الأستاذ الشيخ محمد واعظ زاده الخراسانى

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الحمد للَّه‌ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. سماحة الأستاذ الجليل الشيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز المحترم/ الرئيس العام لإدارة البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد.

السلام عليكم ورحمة اللَّه، وبعد:

لاحظت تركيزكم على مسألة التوحيد فى عدد من أعداد مجلة البحوث الإسلامية، كما سمعتكم فى جلستين وفقت لزيارتكم، تؤكدون تأكيداً متواصلًا على إرشاد الناس إلى التوحيد الخالص للَّه‌ربّ العالمين. ولا شك أنّه الأساس القويم، والركن الركين لهذا الدين الحنيف، بل هو

ص: ۱۴

محور كل أحكامه وشرائعه. وهذه ميزة لمستها فى سماحتكم مشكورين.

ومع احترامى وتقـديرى لجهودكم فى هـذا السبيـل، خطر ببـالى بعض الملاحظـات، أحببت أن أبـديها لكم راجيـاً أن يكون فيهـا خير الإسلام والمسلمين، والاعتصام بحبل‌اللّه المتين فى سبيل تقارب المسلمين ووحدة صفوفهم فى مجال العقيدة والشريعة.

أوّلًا: لاحظتكم تعبّرون دائماً عن بعض ما شاع بين المسلمين، من التبرك بآثار النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وبعض الأولياء، كمسح الجـدران والأـبواب فى الحرم النبوى الشـريف وغيره، شـركاً وعبـادة لغير اللّه، وكـذلك طلب الحاجات منه ومنهم، ودعائهم، وما إلى ذلك.

إنّى أقول: هنا فرق بين ذلك، فطلب الحاجات من النبىّ ومن الأولياء، باعتبارهم يقضون الحاجات من دوناللّه أو مع اللّه، فهذا شـرك جلىّ لاـ شـك فيه، لكن الأعمال الشائعـة بين المسـلمين، والتى لا ينهاهم عنها العلماء فى شتّى أنحاء العالم الإسـلامى من غير فرق بين مذهب وآخر، ليست هى فى جوهرها طلباً للحاجات من النبىّ والأولياء، ولا اتخاذهم أرباباً من دون اللّه، بل مردّ ذلك كلّه(لو

ص: ۱۵

استثنينا عمل بعض الجهّال من العوام) إلى أحد الأمرين:

التبرّك والتوسّل بالنبىّ وآثاره، أو بغيره من المقرّبين إلى اللّه عزّ وجلّ.

فالتبرّك بآثار النبىّ من غير طلب الحاجة منه ولا دعائه، فمنشؤه الحبّ والشوق الأكيد رجاء أن يعطيهم اللّه الخير بالتقرّب إلى نبيّه وإظهار المحبة له (۱)،

۱- وقد أحسن الذهبى وأجاد فى كتابه «سير أعلام النبلاء» عند ترجمةالحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب(ج ۴، ص ۴۸۳- ۴۸۴، الرقم/ ۱۸۵) استطراداً للردّ على شيخه ابن تيمية حيث قال: «فَمَنْ وَقَفَ عند الحُجرة المقدّسة ذليلًا مُسَلِّماً، مُصلِّياً على نبيّه فيا طوبى له، فقد أَحْسَنَ الزيارة وأَجْمَلَ فى التذلل والحُبّ وقد آتى بعبادة زائدة على من صَلّى عليه فى أرضه أو فى صلاته إذ الزائر له أجر الزيارة وأجر الصلاة عليه والمُصَلّى عليه فى سائر البلاد له أجرُ الصلاة فقط فمن صلّى عليه واحدة صلّى اللّه عليه عشراً ولكنّ من زاره- صلوات اللّه عليه- وأساءَ أدب الزيارة أو سَجَدَ للقبر أو فَعَلَ ما لا يُشرع، فهذا فَعَلَ حسناً وسَيِّئاً فَيُعَلَّم برفق واللّهُ غفور رحيم؛ فواللّه ما يحصل الانزعاج لمسلم والصِّياح وتقبيل الجُدران وكثرة البكاء إلّاوهو مُحِبٌّ للّهوللرسول فَحُبّه المعيار والفارق بين أهل الجنّة وأهل النار فزيارة قبره من أفضل القرب وشدّ الرحال إلى قبور الأنبياء والأولياء ولئن سَلَّمنا أنّه غير مأذونٍ فيه لعموم قوله صلوات اللّه عليه: «لا تشدُّ الرحال إلّاإلى ثلاثة مساجد» فَشَدُّ الرحال إلى نبيّنا صلّى اللّه عليه وسلّم مستلزم لِشَدِّ الرحال إلى مسجده وذلك مشروع بلا نزاع إذ لا وصول إلى حُجرته إلّابعد الدخول إلى مسجده فليبدأ بتحيّة المسجد ثمّ بتحيّة صاحب المسجد رزقنا اللّه وإيّاكم ذلك آمين».
أوردنا تمام كلامه تتميماً للفائدة.

ص: ۱۶

وكذلك بآثار غيره من المقرّبين عند اللَّه.

وإنّى لا أجد مسلماً يعتقد أن الباب والجدار يقضيان الحاجات، ولا أنّ النبىّ(أو الولىّ) يقضيانها، بل لا يرجو بذلك إلّااللَّه إكراماً لنبيّه أو لأوليائه أن يفيض اللَّه عليه من بركاته.

والتبرّك بآثار النبى كما تعلمون- ويعلمه كلّ من اطّلع على سيرة النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم- كان معمولًا به فى عهد النبىّ، فكانوا يتبركون بماء وضوئه وثوبه وطعامه وشرابه وشعره، وكلّ شيء منه ولم ينههم النبىّ عنه ولعلّكم تقولون: أجل، كان هذا، معمولًا به بالنسبة إلى الأحياء من الأولياء والأتقياء- كما شاهدت أصحابكم يتبركون بطعامكم- وأنّه خاص بالأحياء، دون الأموات، لعدم وجود دليل على جوازه إلّافى حال الحياة بالذات. فأقول: هناك بعض الآثار تدل على أنّ الصحابة قد تبرّكوا بآثار النبىّ بعد مماته، فعن عبد اللَّه بن عمر رضى الله عنه أنّه كان يمسح منبر النبىّ تبركاً به. وهناك شواهد، على أنّهم كانوا يحتفظون بشعر النبىّ، كما كان الخلفاء العباسيون، ومن بعدهم العثمانيون، يحتفظون بثوب النبىّ تبركاً به، ولا- سيما فى الحروب، ولم يمنعهم أحد العلماء الكبار والفقهاء المعترف بفقههم ودينهم.

ص: ۱۷

وهنا يُعجِبنى أن ألخص لسماحتكم كلام الأستاذ الدكتور سعيد رمضان العالم البوطى فى هذا المجال نقلًا عن كتابه فقه السيرة النبوية(ص ۳۵۴) فإنّه بعد ما أشار إلى شطر ممّا يدل على جواز التوسل بالنبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وبآثاره قال:

«وليس ثمة فرق بين أن يكون ذلك فى حياته أو بعد وفاته.

فآثار النبىّ لا تتصف بالحياة مطلقاً» سواء تعلّق التبرك والتوسّل بها فى حياته أو بعد وفاته، كما ثبت فى صحيح البخارى فى باب شيب رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم.

ومع ذلك، فقد ضلّ أقوام لم تشعر أفئدتهم بمحبّة رسولاللّه، وراحوا يستنكرون التوسّل بذاته بعد وفاته، بحجّة أنّ تأثير النبىّ قد انقطع بوفاته، فالتوسل به، إنّما هو توسل بشىء لا تأثير له البتة.

وهذه حجة تدل- كما ترى- على جهل عجيب جداً، فهل ثبت لرسول اللّه تأثير ذاتى فى الأشياء حال حياته، حتى نبحث عن مصير هذا التأثير من بعد وفاته؟ إن أحداً من المسلمين لا يستطيع أن ينسب أى تأثير ذاتى فى الأشياء لغير الواحد الأحد جلّ جلاله ومن اعتقد خلاف هذا يكفر باجماع المسلمين كلّهم.

فمناط التبرك والتوسل به أو بآثاره ليس هو أسناد أى تأثير إليه، والعياذ باللّه، وإنّما المناط كونه أفضل الخلائق

ص: ۱۸

عند اللّه على الإطلاق وكونه رحمة من اللّه للعباد، فهو التوسّل بقربه إلى ربّه وبرحمته الكبرى للخلق.

وبهذا المعنى كان الصحابة يتوسلون بآثاره من دون أن يجدوا فيه أى إنكار. وقد مرّ فى هذا الكتاب(أى فقه السيرة) بيان استحباب الاستشفاع بأهل الصلاح والتقوى وأهل بيت النبوة فى الاستسقاء وغيره، وإن ذلك ممّا أجمع عليه جمهور الأئمة والفقهاء بما فيهم الشوكانى وابن قدامة الحنبلى والصنعانى وغيرهم.

والفرق بعد هذا بين حياته وموته خلط عجيب غريب فى البحث لا مسوّغ له «انتهى موضع الحاجة».

هذا كلّه بالنسبة إلى التبرك بآثار النبىّ حيّاً وميّتاً، وأمّا التوسّل بذاته أو بأحد من أهل بيته فهو كذلك، كما رأينا فى كلام الدكتور البوطى، وكان معمولًا به حتى بعد وفاته كما استسقى الخليفة عمر رضى الله عنه متوسّلًا بعمّ النبىّ العباس من دون أن ينكر عليه أحد من الصحابة، ومن دون أن يكون لحياة النبىّ وموته تأثير عنده فى جواز التوسّل به.

ومردّ ذلك أنّ التبرّك بآثار النبىّ والتوسّل به وبآثاره وبذرّيته وبالأتقياء من أتباعه ليس معناه طلب الحاجة منهم، ولا أن فى شىء منها بما فى ذلك ذات النبىّ تأثيراً فى

ص: ۱۹

رفع الحاجات ودفع الملمات أو أنّه يضرّ وينفع، كما ورد فى كلامكم فى صدد النهى عنه(أنّه لا يضر ولا ينفع)، فهذا تحويل للمسألة عن جوهرها، بل كل ذلک يُعَدُّ للنبى وغيره من المقربين استجلاباً لرحمة اللّه تبارک وتعالى، لما نعلم من منزلتهم عند اللّه، استناداً إلى سيرته وسيرة المسلمين، فلا يقاس هذا بعمل المشركين فى شأن آلهتهم، حيث كانوا يعتقدون فيها التأثير فى دفع الملمات ورفع الحاجات، إمّا مباشرة أو بالاشتراک مع اللّه.

كما لا ينبغى الاستشهاد على حرمة التبرّک والتوسّل(بالمعنى المذكور) وكونهما شركاً بما ورد من الآيات إدانة للمشركين، فإن ذلک ليس منه فى شىء، والفرق بينهما واضح جلىّ، فهذا مظهر من مظاهر الشرک، وذلک مظهر من مظاهر التوحيد وحب اللّه وأوليائه.

بقى هنا أمران؛ الأوّل: أن يقول قائل: نحن نسلّم بجواز التبرک والتوسّل للعلماء الذين فهموا جوهر الدين، إلّا أنّ ذلک ممنوع على العوام لأنّهم سوف يحولونهما إلى الشرک، حيث يعتقدون للنبى وآثاره وللأولياء تأثيراً ذاتياً فى رفع الحاجات أو دفع المضرّات، فيجب المنع عنهما سدّاً للذرائع.

ص: ۲۰

وهذا ما سمعنا به من الأستاذ الدكتور محمد بن سعد شُوَيعر يوم حضرنا عندكم وجلسنا على مائدتكم مشكورين.

والجواب على هـذا الكلام سـهل، فإنّه إذا ثبت جواز عمل بل اسـتحبابه بـدليل قطعى فلا يجوز المنع عنه بقول مطلق، خوفاً من الجُهّال أن يحولوه إلى ما فيه لون من الشـرك، وإلّا كان ينبغى للرسول صلى الله عليه و آله و سلم نهى الناس عن التبرك بآثاره سداً للذريعهٔ، كما كان ينبغى له أن يمنع الناس عن زيارهٔ القبور حذراً من أنّ الجُهّال يتّخذونها صـنماً يعبد، أو يمنع من استلام الحجر لنفس السبب، هـذا ليس هو الطريق الوحيد والقول السديد لسد الذرائع، بل الطريق هو مراقبهٔ العلماء الذين هم ورثهٔ الأنبياء والذين هم أمناء اللَّه على حلاله وحرامه، فإنّهم أمروا بحفظ الناس عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين كما جاء فى الحـديث(الكافى: ج ۱، بـاب صـفهٔ العلم وفضـله وفضـل العلمـاء، ص ۳۲) مـن غير أن يحرّمـوا حلالًـا أو يحلّلـوا حراماً، ويفرّقـوا فى حكـم واحـد بيـن العـوام والخواص.

الأمر الثانى: إنّ من يجوّز التبرك والتوسّل هم جمهور

ص: ۲۱

العلماء (۱) فى قبال جماعة أقل منهم بكثير لا يجوّزونهما، ولا ريب أن المجوزين اختاروا الجواز بعد الوقوف على الآراء، وبعد البحث والفحص عن الأدلّة، والإطلاع على ما أبداه الشيخان السلفيّان الشيخ ابن تيمية، والشيخ محمد بن عبد الوهّاب وأتباعهما، فهؤلاء لم يقتنعوا طوال هذه القرون السبعة إلى يومنا هذا بحجج مخالفيهم، فهم مجتهدون، ولكلّ مجتهد مصيب أجران، وللمخطئ أجر واحد، كما هو ثابت عند الفقهاء فالمسألة بعد أن عادت خلافية اجتهاديّة، فهل تسمحون فى مثل هذه المسألة التى جلُّ العلماء على جوازها وقليل منهم على حرمتها، نسبة الكفر والشرك بل الفسق والضلال إلى هؤلاء الجمّ الغفير المعترف بفقههم وتقواهم؟

فما هو الفارق إذاً بين القطعيّات والظنيّات؟ سواء فى حقل العقيدة أو فى حقل الشريعة؟ إنّما الحكم بالكفر ثابت فيمن أنكر ضرورياً من ضروريات الدين ليس إلّا، دون مسألة خلافيّة؛ هى معترك الآراء بين الفقهاء.

فأقلّ ما يقال فى مثل هذه المسألة الخلافية هو الاحتياط بالإمساك عن التقوّل فيهم، حتى ترجع المسألة

۱- انظر: كتاب تقى الدين السبكى «شفاء السقام فى زيارة خير الأنام» لا سيماالباب الرابع، الباب السابع فإنّه أورد سرد فتاوى كثير من العلماء فى المقام.

ص: ۲۲

قطعيّة، والاكتفاء لمن لا يجوّزه بالوعظ والإرشاد، إذا رآه شركاً أو بدعة أو ضلالًا، فهذا منتهى المطاف فى أداء الواجب من مثله. وقد مرّ بنا أن استهللنا كلامنا بالتقدير لجهودكم فى سبيل إرساء أمر التوحيد، وهذا بنفسه سعى مشكور أغتبطكم عليه، لولا أن ينضمّ إليه إطلاق القول بالشرك أو الكفر فيمن جوّز هذا العمل عن اجتهاد ونظر، من دون تقليد أعمى، ولا جهل بالكتاب والسنّة وبآراء الفقهاء، الموافق منهم والمخالف.

ثانياً: أحببت الإشارة إلى مسألة أخرى لها أهميّتها، وهى ما أفتيتم بشأن مسألة فلسطين، حيث تقولون:

«إنّه يجب على المسلمين وعلى الدول الإسلاميّة والأغنياء والمسؤولين أن يبذلوا جهودهم ووسعهم فى جهاد أعداء اللَّه اليهود، أو فيما تيسر من الصلح إن لم يتيسر الجهاد، صلحاً عادلًا يحصل به للفلسطينيين إقامة دولتهم على أرضهم، وسلامتهم من الأذى من عدو اللَّه اليهود، مثلما صالح النبىّ أهل مكّة، وأهل مكّة فى ذلك الوقت أكثر من اليهود الآن، وإن المشركين والوثنيين أكثر كفراً من أهل الكتاب، فقد أباح اللَّه طعام أهل الكتاب والمحصنات من نسائهم، ولم يبح طعام الكفار من

ص: ۲۳

المشركين، ولا نساءهم وصالحهم النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم على وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكفّ بعضهم عن بعض، وكان فى هذا الصلح خير عظيم للمسلمين، وإن كان فيه غضاضة عليهم بعض الشىّ. لكن رضيه النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم للمصلحة العامة.

فإذا لم يتيسر الاستيلاء على الكفرة، والقضاء عليهم، فالصلح جائز لمصلحة المسلمين، وأمنهم واعطائهم بعض الحقوق...»(مجلة البحوث الإسلامية (۱): رقم ۳۵، ص ۲۴).

وهذه الفتيا منكم إنّما صدرت ولا شك إخلاصاً للإسلام والمسلمين، وحرصاً على إرشاد الأمّة إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم، إلّاأنّ فيها بعض الملاحظات، فهى تحتوى شطرين:

الشطر الأوّل: وجود حرب اليهود وبذل الجهود فى جهاد أعداء اللّه اليهود. وهذا ما يوافقكم عليه علماء الإسلام جميعاً شيعة وسنّة، ولعلّكم لمستم موقف الشيعة، فى مكّة المكرّمة عبر شعاراتهم، أو سمعتم به عن طريق المذياع

۱- مجلة البحوث الإسلامية؛ مجلة دورية تصدر عن رئاسة إدارة البحوثالعلمية والإفتاء- الرياض.

ص: ۲۴

أو قرأتم عنه في الجرائد، أنّهم أشدّ الناس على الكفّار ولا سيما على اليهود. فهذا حق صريح، ورأيكم حجة على جميع المسلمين حكومات وشعوباً، جزاكم اللّه عنهم خير الجزاء، وشكر مساعيكم، فقد أديتم واجبكم أمام اللّه تبارك وتعالى وأمام المسلمين قاطبة.

وأمّا الشطر الثاني وهو ما تيسر من الصلح إن لم يتيسر الجهاد صلحاً عادلًا إلى آخر ما أبديتم من الرأي باخلاص فيجب الوقوف عنده طويلًا.

لا ـ ريب أنّ المسألة لو كانت كما اقترحتم وكانت القيود والشروط محقّقة بالشكل الذي قيّدتم، فالحكم هو ما صرحتم به، إلّاأنّ المسألة مع الأسف الشديد ليست بهذه السهولة، ومغزى كلامي أنّ البحث ليس في الكبرى من الدليل، وإنّما هو في الصغرى، وتوضيحها كما يأتي:

أوّلًا: إنّ الجهاد مع اليهود ميسور وبابه مفتوح بمصراعيه أمام المسلمين، إلّاأنّ حكّام المسلمين لم يقفوا يوماً ولا يريدون أن يقفوا أمام العدوّ بكل جهودهم وإمكانياتهم، فإنّ العرب طرحوا القضيّة منذ أربعين سنة ولحد الآن قضية عربيّة، وليست إسلاميّة، وهذه أوّل ضربة وجهوها إلى القضية، حيث أبعدوا بهذا المشروع العنصري

ص: ٢٥

معظم المسلمين عن ساحة المعركة، ولا أقل من أنّ ذلك أصبح عذراً لأولئك الحكام الذين لا علاقة لهم بشؤون المسلمين، فكانوا يقولون كما سمعت مراراً من أعوان الشاه فى إيران: «هذه مشكلة العرب مع اليهود لا ـ شأن لنا فيها» فلم يكونوا يسمعون صرخات المسلمين والعلماء من أنّها إسلاميّة، بحجّة أنّ العرب يعدّونها مسألة عربيّة.

وأمثال هؤلاء الحكّام من العرب وغيرهم يطيقون استماع صرخات هؤلاء الشباب والأطفال المحاربين بالحجارة داخل الأرض المحتلة وهتافاتهم: «اللّه أكبر» «نحن مسلمون» ولا أن يروا فى التلفزة صلاتهم حول المسجد الأقصى، لأنّ ذلك سوف يمثل إسلاميّة القضيّة فتأخذ العذر من أيديهم.

ثانياً: حتى العرب أنفسهم الذين احتكروا المسألة بحجّة أنّها عربيّة، وأنّها مسألتهم دون سائر المسلمين لا يتفقون على كلمة واحدة، ولم يجهزوا إمكانياتهم أمام العدوّ، ولم يقفوا صفّاً واحداً، فبدلًا من ذلك كلّه، افترقوا أحزاباً وشعوباً يهاجم بعضهم بعضاً، عسكرياً وإعلامياً، لا شىء إلّا لصالحهم ولصالح العدوّ، فلم يجهزوا أنفسهم للمعركة لا هم ولا سائر المسلمين ولم يمتثلوا أمر ربّهم: «وأعدّوا لهم

ص: ۲۶

ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ اللَّه وعدوّكم»(الأنفال/ ۶۰) فعندهم البترول الذى هو شريان حياة الأعداء، فلم يستفيدوا من هذه القوّة الهائلة التى هى أقوى بكثير من رباط الخيل ومن أى قوّة توجد فى العالم.

كما أنّهم لم يهتموا بقول ربّهم: «يا أيّها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء»(المائدة/ ۵۱) وما بمعناه فى الكتاب والسنّة.

فمن منهم لا يتّخذ أعداء اللَّه أولياء، ولا يميل إلى اليمين والشمال(وقد سقط بحمد اللَّه) ولا يعتمد ولا يستنصر بالأعداء(سوى النزر اليسير)، ولا يركع لصنم منهم ولا يسجد؟ وبعضهم لا يأكل ولا يشرب إلّابأذنه؟

ومن خفى عليه هذا فليس له الدخول فى المعارك السياسية وإظهار الرأى فيها.

والعجب كلّ العجب صمتُ بعض العلماء عن هؤلاء الحكام الركع السجود أمام الأصنام الطواغيت، ثم ينادى ويحكم بكفر وشرك أولئك المسلمين المساكين، الذين بذلوا كل ما عندهم، وتحمّلوا المشاق، وجاؤوا من كلّ فجّ عميق، حتى نالوا زيارة النبىّ، وقلوبهم ملئت بحبّه، فقبّلوا الباب والشُبّاك حبّاً له، رجاء التقرّب إلى اللَّه بحبّه، ويرون هذا

ص: ۲۷

منتهى أملهم من الحياة، فإذا بعالم أو مسؤول سكت عن ذلك الشرك الكبير وعن هؤلاء الأبالسة الكبار، يضربه بالسياط ويشتمه باللسان، ويكرر عليه: «هذا شرك، هذا كفر»، أليس هذا إبعاد المسلمين المخلصين عن الدين، وعن ساحة القتال مع اليهود ومع سائر أعداء الدين؟ فإنّه إذا كان كافراً ومشركاً فلماذا يضحى بنفسه فى المعركة فى سبيل الإسلام؟

وأنا أقول بصراحة: لو أنّ العلماء ومن وراءهم(بل ومن فوقهم!) الحكّام لم يخطئوا الطريق، واستقروا على الصراط القويم، لأمكن لهم تجهيز الملايين من الشبّان المسلمين الغيارى على الإسلام ضد اليهود، ولو تحقّق هذا الحلم يوماً ما فإنّا نرى أن كلمة اللّه هى العليا، وأنّ اللّه يحقق وعده: «إن تنصروا اللّه ينصركم ويثبت أقدامكم»(محمّد/ ۷).

ثالثاً: الاستشهاد للصلح مع اليهود بمثل ما صالح النبىّ أهل مكّة والمشركين عجيب فهو قياس مع الفارق، وفيه وجوه من الخلط والتمويه:

۱- إنّ النبىّ صالح أهل مكّة من موقف القوّة دون الضعف كما قال تعالى: «وهو الذى كفّ أيديهم عنكم

ص: ۲۸

وأيديكم عنهم ببطن مكّة من بعد أن أظفركم عليهم، وكان اللّه بما تعملون بصيراً»(الفتح/ ۲۴) مع أنّ حكّام العرب حينما يريدون أن يساوموا على الصلح مع العدو، إنّما هم فی منتهی الضعف(ولا سيّما بعد حرب الخليج) سياسياً وعسكرياً والشيطان الأكبر الحامی لإسرائيل، رست أقدامه على أرضهم بكل ما له من العدّة والعدد، وله حق الحياة والبقاء على جملة من الحكام، فهم عبيد فی قبضته، يحق لهم أن يركعوا ويسجدوا أمامه آناء الليل وأطراف النهار وأنّهم ليبذلون أموال المسلمين ويعرضون شعوبهم المساكين إلى الكفّار بالمجّان، لا لشیء سوى للاحتفاظ على منصبهم، فهم متسلطون على أعناق الشعوب، راكعون أمام الأعداء.

«أُسد علیَ وفی الحروب نعامة». وفی مثل هذه الحالة يريدون أن يجلسوا مع العدوّ حول طاولة المفاوضات للسلام(العادل)!!

ومن الدليل على ضعف المشركين وقوّة المسلمين فی الحديبيّة قول النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم لرسول المشركين عنده(بُدَيلُ بنُ وَرقاءَ الخُزاعِیُّ):

«... إنّ قريشاً قد نَهِكَتْهُم (۱) الحَرْبُ، وأضَرَّت بهم

۱- نهكتهم: بكسر الهاء وفتحها: ضعفتهم.

ص: ٢٩

فإن شاؤوا مادَدْتُهم (١) مُدَّةً ويُخَلُّوا بَينی وبين الناس... إلی أن قال: وإن هُم أبَوا فَوَالّذی نفسی بيَدِه لأقاتلَنَّهُم عَلی أمری هذا حَتّی تَنْفَرِدَ سالِفَتی وَلِيُنَفِذَنَّ (٢) اللّهُ أمرَه».

وإن مبايعته المسلمين علی الحرب والتضحية بالنفس والمال كان استعداداً كاملًا للحرب ثم إن عروة بن مسعود رسول المشركين الآخر لديه حينما رجع إلی المشركين قال لهم: «فَوَاللَّهِ ما تَنَخَّمَ رسولُ اللَّهِ نُخامَةً إلّاوَقَعَتْ فی كَفِّ رَجُلٍ منهم فَدَلَكَ به وجهَهُ وجِلْدَه، وإذا أَمَرَهُم بأمرٍ ابْتَدروا أَمرَه وإذا تَوَضَّأَ كادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلی وُضُوئِه وإذا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أصْواتَهم عِندَه وما يُحِدُّونَ النَّظَرَ إليهِ تَعظيماً لَه، أی قوم، وَاللَّهِ لَقَد وَفَدتُ عَلَی المُلوكِ وَوَفدتُ علی قَيْصَر وكِسرَی والنَّجاشِی، وَاللَّهِ إنْ رأيتُ مَلِكاً يُعظِّمُه أصحابُه ما يُعَظِّمُ أصحابُ مُحَمَّدٍ صلی الله عليه و آله و سلم مُحَمَّداً... وإنَّه قَد عَرَضَ عليكم

١- ماددتهم: صالحتهم.

٢- ولينفذنّ: من الإنفاذ بمعنی الإمضاء.

ص: ۳۰

خُطَّةَ رُشْدٍ فَأَقْبَلُوها...» رواه: البخارى وغيره بتفاوت(صحيح البخارى، كتاب الشهادات، باب ما يجوز من الشروط فى الإسلام: ج ۳، ص ۲۵۳- ۲۵۵). وقد أورد المحققون لمسند أحمد مصادر تلك الرواية(انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل: ج ۳۱، ص ۲۴۳، الرقم ۱۸۹۲۸).

۲- إنّ اليهود ليسوا وحدهم الذين يحاربون شعب فلسطين، بل وقف إلى جنبهم طواغيت العالم الذين غرسوا هذه الشجرة الخبيثة فى أرض الإسلام وهم الذين يحاربون الإسلام والمسلمين، فندخل فى الصلح معهم، لأنّهم أقل من المشركين؟

وليس هؤلاء الطواغيت، ولا حتى اليهود الذين استولوا على أرض فلسطين بأهل كتاب، وإنّما هم ملاحدة، دينهم الدولار، وأمنيتهم الاستيلاء على ثروات الأرض، فإنّ اليهود فى فلسطين معظمهم صهاينة ليسوا بأهل كتاب ولا أهل دين، بل هم حزب سياسى عنصرى.

على أنّ اليهود فى العالم يعدّون بعشرات الملايين، وكلّهم مع يهود فلسطين، وبيدهم ثروات هائلة، وفى قبضتهم السوق العالمى والمصانع والسفن والأسلحة، ووسائل الإعلام العالمى؛ فكيف يجوز أن يقال: أنّ اليهود اليوم أقل من أهل مكة فى ذلك اليوم؟

فيجب إذاً أن نضع هذه الأشياء فى الميزان ثم نحكم

ص: ۳۱

بالصلح، وبدونها لم يتحقق صلح عادل.

۳- إنّ الصلح كان مع أهل مكّة بأمر من اللَّه دون مشورة المؤمنين بل أكثرهم قاوموا النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم أمام عقد الصلح وعند بعض بنوده، حتى أنزل اللَّه سورة الفتح وكشف النقاب عن وجه الصلح، وعدّه فتحاً مبيناً، ومع ذلك لم يعترف كثير منهم فى صميم قلوبهم وباقتناع نفسى منهم بأنّه كان خيراً، حتى رأوا النتيجة ماثلة أمامهم بعد مدّة.

۴- كانت هناك حِكَم وأسباب جاءت فى سورة الفتح تصريحاً أو إيماء، كالحفاظ على المؤمنين والمؤمنات القاطنين بمكّة يومئذ الذين لم يعرف أشخاصهم، وكالحصول على الأرضيّة المناسبة لاختلاط المسلمين بالمشركين، وتبيين الإسلام لهم واكتساب قلوبهم صوب المسلمين، وغير ذلك ممّا صرحتم به فى مقالكم، ويعلم بالتدبر فى سورة الفتح وفى الحوادث التى حدثت عقيب الصلح، ولا يوجد شىء من هذه الحِكَم والأسباب فى الصلح مع اليهود الآن، بل الأمر بالعكس كما سنوضح.

۵- اليهود الآن بما أعدوا واستعدّوا للمعركة الحاسمة، معتمدون على تلك القوى العالميّة الشيطانية، قادرون على

ص: ۳۲

أن يقضوا على الشعب الفلسطينى، ومن جاورهم من الشعوب، ولا ـ سيما القاطنين فى أرض الجزيرة العربيّة التى لليهود فيها مطامع تاريخية؛ كأراضى بنى النضير وبنى‌قريظة وأراضى خيبر وغيرها، فى طرفة عين، ولعلّهم يفعلونها يوماً من الأيّام(لا قدر اللّه هذا اليوم). فهم حينما يفاوضون العرب من أجل السلام، لم يقصدوا السلام، ولم يكن خوفاً من العرب، إنّما يريدون أن يسيطروا على أراضيهم وثرواتهم برفق وبرضاً منهم أو من حكّامهم، ليتدخلوا فى شؤونهم ثقافياً واقتصادياً وسياسياً، فيكونوا أحراراً فيما يعملون فى تلك البقاع، ويتخذوا من تلك الشعوب أداة لبسط سلطانهم عليهم وعلى العالم الإسلامى كلّه، ويتعاملوا معهم معاملة السيد مع عبيده، والملك مع رعيّته طوال الدهر.

ويرون أن الصلح المنشود هو الطريق الوحيد للوصول إلى مطامعهم، حتى أنّهم يمهلون أمر الصلح عمداً، ويسوّفونه قصداً، لإرضاء النفوس شيئاً فشيئاً، حتى يقتنعوا بأنّه لا طريق للخلاص سوى الصلح والسلام.

مع أنّ مثل هذا الصلح هو الرصاصة الأخيرة لسقوط هذه الشعوب ثم لسقوط العالم الإسلامى والمسلمين فى

ص: ۳۳

أيدی اليهود. فأين الصلح العادل؟ ليس هذا سوی الاستسلام المطلق دون السلام العادل.

ثمّ إنّ اليهود، متی التزموا بعهودهم طوال دهرهم وخاصة فی مسألة فلسطين لكی نثق بهم؟ وأخيراً؛ لو فرضنا حصول كل هذه الشروط والقيود، فإنّ الحكّام لا نثق بهم وسوف يتخذون من هذه الفتيا ذريعة لالتباس الأمر علی الشعوب، وسيفاوضون العدو فی صالحهم أكثر من صالح الشعوب، وسيكون هذا الحكم من سماحتكم مبدأ شرعية اليهود وشرعية عمل الحكام الذين أجروا عقد الصلح ومفاوضة السلام معهم.

فأيّاكم أن تجعلوا رقبتكم قنطرة لهؤلاء، والصواب هو الاكتفاء منكم بالشطر الأوّل من الفتيا، والإنصراف عن الشطر الثانی رأساً، والمرجو منكم أن تأخذوا هذه السطور بعين الاعتبار، ثم الإجابة عليها، فإنّی ما أردت إلّا الإصلاح ما استطعت، واللّه من وراء القصد، والسلام عليكم ورحمة اللّه.

محمد واعظ زاده الخراسانی

مكّة المكرمة ۱۱ ذی‌الحجة الحرام

سنة ۱۴۱۳ هجرية

ص: ۳۴

ص: ۳۵

أجوبة

رسالة الأستاذ عبد العزيز بن عبد اللّه بن باز

ص: ۳۶

ص: ۳۷

الشيخ عبدالعزيز بن عبداللَّه بن باز

عن رسالة التبرّک والتوسّل للشيخ محمّد واعظزاده الخراسانی

من عبـد العزيز بن عبـد اللَّه بن بـاز إلی حضـرة المكرم الشـيخ محمـد واعظزاده الخراسـانی منحنی اللَّه وإيـاه الفقه فی الـدين، وأعاذنا جميعاً من طريق المغضوب عليهم والضالين آمين.

سلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته، أمّا بعد.

فقد وصلنی كتابكم وصلكم اللَّه بحبل الهدی والتوفيق وجميع ما شرحتم كان معلوماً.

وقد وقع فی كتابكم أمور تحتاج إلی كشف وإيضاح، وإزالة ما قد وقع لكم من الشبهة عملًا بقول النبیّ صلی الله عليه و آله و سلم: «الدين نصيحة» (۱)

وقوله صلی الله عليه و آله و سلم: «من دلّ علی خير فله مثل

۱- مسند أحمد: ۵/ ۳۱۸/ ۳۲۸۱ وبهامشه ثبت لمصادر أخری.

ص: ۳۸

أجر فاعله» (۱)

وغيرهما من الأحاديث الكثيرة فى هذا الباب.

وقد أرشد إلى ذلك مولانا سبحانه فى قوله عزّ وجلّ:

«وتعاونوا على البر والتقوى»(المائدة/ ۳) وقوله سبحانه: «أدع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتى هى أحسن»(النحل / ۱۲۵).

فأقول: ذكرتم فى كتابكم ما نصّه: «ومع احترامى وتقديرى لجهودكم فى هذا السبيل خطر ببالى بعض الملاحظات، أحببت أن أبديها لكم راجياً أن يكون فيها خير الإسلام والمسلمين، والاعتصام بحبل اللّه المتين فى سبيل تقارب المسلمين، ووحدة صفوفهم فى مجال العقيدة والشريعة».

أوّلًا: لاحظتكم تعبّرون دائماً عن بعض ما شاع بين المسلمين، من التبرك بآثار النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وبعض الأولياء، كمسح الجدران والأبواب فى الحرم النبوى الشريف وغيره،

۱- مسند أحمد: ۲۸/ ۳۱۳/ ۱۷۰۸۴ ومصادر أخرى ثبت فى هامشه.

ص: ۳۹

شركاً وعبادة لغير اللّه، وكذلك طلب الحاجات منه ومنهم، ودعائهم، وما إلى ذلك.

إنّى أقول: هنا فرق بين ذلك، فطلب الحاجات من النبىّ ومن الأولياء، باعتبارهم يقضون الحاجات من دوناللّه أو مع اللّه، فهذا شرك جلىّ لا ـ شك فيه، لكن الأعمال الشائعة بين المسلمين، والتى لا ينهاهم عنها العلماء فى شتّى أنحاء العالم الإسلامى من غير فرق بين مذهب وآخر، ليست هى فى جوهرها طلباً للحاجات من النبىّ والأولياء، ولا اتخاذهم أرباباً من دون اللّه، بل مردّ ذلك كلّه(لو استثنينا عمل بعض الجهّال من العوام) إلى أحد أمرين:

التبرّك والتوسّل بالنبىّ وآثاره، أو بغيره من المقرّبين إلى اللّه عزّ وجلّ.

فالتبرّك بآثار النبىّ من غير طلب الحاجة منه ولا ـ دعائه، فمنشؤه الحبّ والشوق الأكيد رجاء أن يعطيهم اللّه الخير بالتقرّب إلى نبيّه وإظهار المحبة له، وكذلك بآثار غيره من المقرّبين عند اللّه.

وإنّى لا أجد مسلماً يعتقد أن الباب والجدار يقضيان الحاجات، ولا أنّ النبىّ(أو الولىّ) يقضيانها، بل لا يرجو بذلك إلّااللّه إكراماً لنبيّه أو لأوليائه أن يفيض اللّه عليه من بركاته.

والتبرّك بآثار النبى كما تعلمون- ويعلمه كلّ من اطّلع على سيرة النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم- كان معمولًا به فى عهد النبىّ، فكانوا

ص: ۴۰

يتبركون بماء وضوئه وثوبه وطعامه وشرابه وشعره، وكلّ شيء منه ولم ينههم النبيّ عنه ولعلّكم تقولون: أجل، كان هذا، معمولًا به بالنسبة إلى الأحياء من الأولياء والأتقياء- كما شاهدت أصحابكم يتبركون بطعامكم- وأنّه خاص بالأحياء، دون الأموات، لعدم وجود دليل على جوازه إلّافي حال الحياة بالذات. فأقول: هناك بعض الآثار تدل على أنّ الصحابة قد تبرّكوا بآثار النبيّ بعد مماته، فعن عبد اللَّه بن عمر- رضي اللَّه عنهما- أنّه كان يمسح منبر النبيّ تبركاً به. وهناك شواهد، على أنّهم كانوا يحتفظون بشعر النبيّ، كما كان الخلفاء العباسيون، ومن بعدهم العثمانيون، يحتفظون بثوب النبيّ تبركاً به، ولا- سيما في الحروب، ولم يمنعهم أحد العلماء الكبار والفقهاء المعترف بفقههم ودينهم، انتهى المقصود من كلامكم.

والجواب أن يقال: ما ذكرتم فيه تفصيل:

فأمّا التبرك بما مسّ جسده- عليه الصلاة والسلام- من وضوء أو عرق أو شعر ونحو ذلك. فهذا أمر معروف وجائز عند الصحابة- رضي اللَّه عنهم- وأتباعهم بإحسان.

لما في ذلك من الخير والبركة. وهذا أقرهم النبيّ صلى اللَّه عليه وسلم.

ص: ۴۱

فأمّا التمسح بالأبواب والجدران والشبابيك ونحوها فى المسجد الحرام أو المسجد النبوى، فبدعة لا أصل لها، والواجب تركها لأن العبادات توقيفية لا يجوز منها إلّاما أقرّه الشرع لقول النبى صلى اللَّه عليه وسلّم: «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» (۱) متفق على صحته. وفى رواية لمسلم، وعلّقها البخارى رحمه الله فى صحيحه جازماً بها:

«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد» (۲)

.

وفى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه، قال كان النبىّ صلى اللَّه عليه وسلم يقول فى خطبته يوم الجمعة:

«أمّا بعد فإن خير الحديث كتاب اللَّه وخير الهدى هدى محمّد صلى اللَّه عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة» (۳)

.

والأحاديث فى ذلك كثيرة. فالواجب على المسلمين التقيد فى ذلك بما شرعه اللَّه كاستلام الحجر الأسود وتقبيله،

۱- صحيح مسلم: ۳/ ۱۳۴۳/ ۱۷۱۸.

۲- صحيح البخارى ص ۴۳ فى باب «خلق أفعال العباد» وصحيح مسلم: ۳/ ۱۳۴۴/ ۱۷۱۸. وانظر مصادر أخرى للحديث فى هامش مسند أحمد: ۴۲/ ۶۲/ ۲۵۱۲۸.

۳- صحيح مسلم: ۲/ ۵۹۲/ ۸۶۷(۴۳).

ص: ۴۲

واستلام الركن اليمانى. ولهذا صح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنّه قال لما قبل الحجر الأسود:

«إنّى أعلم أنّك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت النبىّ صلى اللَّه عليه وسلم يقبلك ما قبلتك» (۱).

وبذلك يعلم أن استلام بقية أركان الكعبة، وبقية الجدران والأعمدة غير مشروع لأنّ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم لم يفعله ولم يرشد إليه ولأنّ ذلك من وسائل الشرك وهكذا الجدران والأعمدة والشبابيك وجدران الحجرة النبوية من باب أولى لأن النبىّ صلى اللَّه عليه وسلم لم يشرع ذلك ولم يرشد إليه ولم يفعله أصحابه- رضى اللَّه عنهم-.

وأمّا ما نقل عن ابن عمر- رضى اللَّه عنهما- من تتبع آثار النبىّ صلى اللَّه عليه وسلم واستلامه المنبر فهذا اجتهاد منه رضى الله عنه، لم يوافقه عليه أبوه ولا غيره من أصحاب النبى صلى الله عليه و آله و سلم. وهم أعلم منه بهذا الأمر، وعملهم موافق لما دلت عليه الأحاديث الصحيحة. وقد قطع عمر رضى الله عنه، الشجرة التى بويع تحتها النبىّ صلى اللَّه عليه وسلم فى الحديبية، لما بلغه أنّ بعض الناس يذهبون إليها ويصلون

۱- مسند أحمد: ۱/ ۲۸۲/ ۱۳۱.

ص: ۴۳

عندها خوفاً من الفتنة بها، وسداً للذريعة.

وأمّا دعاء الأنبياء والأولياء والاستغاثة بهم والنـذر لهم ونحو ذلك فهو الشـرك الأكبر وهو الذى كان يفعله كفار قريش مع أصـنامهم وأوثانهم، وهكـذا بقيـة المشـركين يقصـدون بـذلك أنها تشـفع لهم عنـد اللّه، وتقربهم إليه زلفى، ولم يعتقـدوا أنها هى التى تقضـى حاجـاتهم وتشـفى مرضـاهم وتنصـرهم على عـدوهم، كمـا بين اللّه سـبحانه ذلك عنهم فى قوله سـبحانه: «ويعبـدون من دون اللّه مالا يضـرهم ولا ينفعهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند اللّه»(يونس/ ۱۸)، فرد عليهم سـبحانه بقوله: «قل أتنبئون اللّه بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عمّا يشركون»(يونس/ ۱۸).

وقال عزّ وجل فى سورة الزمر: «فاعبـد اللّه مخلصاً له الـدين ألا للّهالـدين الخالص، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلّاليقربونا إلى اللّه زلفى، إن اللّه يحكم بينهم فيمـا هم فيه يختلفون، إن اللّه لا ـ يهـدى من هو كاذب كفار»(الزمر/ ۳) فأبان سبحانه فى هذه الآية الكريمـة: أنّ الكفـار لم يقصـدوا من آلهتهم أنهم يشـفون مرضـاهم، أو يقضـون حـوائجهم وإنّمـا أرادوا منهم أنّهم يقربونهم إلى اللّه زلفى،

ص: ۴۴

فأكذبهم سبحانه ورد عليهم قولهم بقوله سبحانه: «إن اللّه لا يهدى من هو كاذب كفار»(الزمر/ ۳) فسماهم كذبة وكفاراً بهذا الأمر. فالواجب على مثلكم تدبر هذا المقام وإعطاؤه ما يستحق من العناية. ويدل على كفرهم أيضاً بهذا الاعتقاد، قوله سبحانه: «ومن يدعُ من دون اللّه إلهاً آخر لا برهان له به فإنّما حسابه عند ربّه إنّه لا يفلح الكافرون»(المؤمنون/ ۱۱۷) فسماهم فى هذه الآية كفاراً وحكم عليهم بذلك لمجرد الدعاء لغير اللّه من الأنبياء والملائكة والجن وغيرهم.

ويدل على ذلك أيضاً قوله سبحانه فى سورة فاطر:

«ذلكم اللّه ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير* إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير»(فاطر/ ۱۳- ۱۴) فحكم سبحانه بهذه الآية على أنّ دعاء المشركين لغير اللّه، من الأنبياء والأولياء، أو الملائكة أو الجن، أو الأصنام أو غير ذلك بأنّه شرك (۱)، والآيات فى هذا المعنى لمن تدبر كتاب اللّه كثيرة.

۱- من المناسب هنا وفى مقام المقارنة بين عمل المسلمين فى التبرّك والتوسّل وبين عمل المشركين، أن نلفت نظر القراء الكرام إلى عدد من النقاط المهمة، حتّى لا نتهم أحداً أو نَصِف عملًا بالشرك اعتباطاً وبلا دليل:

ص: ۴۵

ص: ۴۶

وننقل لك هنا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى الفتاوى:(ص ۱۵۷، ج ۱) ما نصه:

ص: ۴۷

«والمشركون الذين وصفهم اللّه ورسوله بالشرك أصلهم صنفان: قوم نوح، وقوم إبراهيم. فقوم نوح كان أصل شركهم العكوف على قبور الصالحين ثم صوروا تماثيلهم، ثم عبدوهم، وقوم إبراهيم كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر وكل من هؤلاء يعبدون الجن، فإن الشياطين قد تخاطبهم، وتعينهم على أشياء، وقد يعتقدون أنهم يعبدون الملائكة، وإن كانوا فى الحقيقة إنّما يعبدون الجن، فإن الجن هم الذين يعينونهم، ويرضون بشركهم، قال اللّه تعالى: «ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إيّاكم كانوا يعبدون* قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون»(سبأ/ ۴۰- ۴۱).

والملائكة لا- تعينهم على الشر، لا- فى المحيا ولا فى الممات، ولا يرضون بذلك، ولكن الشياطين قد تعينهم وتتصور لهم فى صور الآدميين، فيرونهم بأعينهم ويقول أحدهم: أنا إبراهيم أنا المسيح، أنا محمّد أنا الخضر أنا أبو بكر أنا عمر، أنا عثمان أنا على أنا الشيخ فلان، وقد يقول بعضهم عن بعض هذا هو النبى فلان، أو هذا هو الخضر، ويكون اولئك كلهم جنّاً، يشهد بعضهم لبعض، والجن كالإنس. فمنهم الكافر، ومنهم الفاسق،

ص: ۴۸

ومنهم العابـد الجاهـل، فمنهم من يحب شـيخاً فيـتزى فى صـورته ويقول: أنـا فلاـن، ويكون ذلـك فى بريـة ومكـان قفر، فيطعم ذلك الشـخص طعاماً ويسـقيه شـراباً أو يدله على الطريق أو يخبره ببعض الأمور الواقعة الغائبة، فيظن ذلك الرجل، أن نفس الشيخ الميت أو الحى فعل ذلك، وقـد يقول: هذا سـر الشـيخ وهذه رقيقته، وهذه حقيقته، أو هذا ملك جاء على صورته، وإنّما يكون ذلك جنيّاً، فإنّ الملائكة لا تعين على الشرك والإفك والإثم والعدوان. وقد قال اللّه تعالى: «قُل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلًا* أولئك الـذين يـدعون يبتغون إلى ربهم الوسـيلة أيّهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عـذابه إن عذاب ربّك كان محذوراً»(الإسراء/ ۵۶- ۵۷) قال طائفة من السـلف: كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء كالعزير والمسـيح، فبين‌اللّه تعالى أن الملائكة والأنبيـاء عبـاد اللّه. كمـا أن الـذين يعبـدونهم عباد اللّه، وبين أنّهم يرجون رحمته ويخافون عـذابه، ويتقربون إليه كما يفعل سائر عباده الصالحين.

والمشـركون من هؤلاء قد يقولون: إنّا نستشفع بهم، أى نطلب من الملائكة والأنبياء أن يشفعوا، فإذا أتينا قبر أحدهم طلبنا منه أن يشفع لنا فإذا صورنا

ص: ۴۹

تمثاله- والتماثيل إمّا مجسّدة وإمّا تماثيل مصوّرة كما يصورها النصارى فى كنائسهم- قالوا: فمقصودنا بهذه التماثيل نذكر أصحابه، وسيرهم ونحن نخاطب هذه التماثيل ومقصودنا خطاب أصحابها ليشفعوا لنا إلى اللَّه فيقول أحدهم: يا سيدى فلان، أو يا سيد جرجس أو بطرس، أو يا ستى الحنونة مريم أو يا سيدى الخليل أو موسى بن عمران أو غير ذلك اشفع لى إلى ربّك.

وقد يخاطبون الميت عند قبره: سل لى ربك، أو يخاطبون الحى وهو غائب كما يخاطبونه لو كان حاضراً حياً وينشدون قصائد بقول أحدهم فيها: يا سيدى فلان أنا فى حبك أنا فى جوارك أشفع لى إلى اللَّه، سل اللَّه لنا أن ينصرنا على عدونا، سل اللَّه أن يكشف عنا هذه الشدّة أشكو إليك كذا وكذا فسل اللَّه أن يكشف هذه الكربة، أو يقول أحدهم: سل اللَّه أن يغفر لى.

ومنهم من يتأول قوله تعالى: «ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك، فاستغفروا اللَّه واستغفر لهم الرسول لوجدوا اللَّه تواباً رحيماً»(النساء/ ۶۴). ويقولون: إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته كنا بمنزلة الذين طلبوا الاستغفار من الصحابة. ويخالفون بذلك الاجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر المسلمين، فإن

ص: ۵۰

أحداً منهم لم يطلب من النبیّ صلی اللّه علیه وسلم بعد موته أن يشفع له، ولا سأله شيئاً، ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين فی كتبهم وإنّما ذكر ذلك من ذكره من متأخری الفقهاء، وحكوا حكاية مكذوبة علی مالك رضی الله عنه، سيأتی ذكرها، وبسط الكلام عليها إن شاء تعالی.

فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفی مغيبهم، وخطاب تماثيلهم، هو من أعظم أنواع الشرك الموجود فی المشركين، من غير أهل الكتاب، وفی مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به اللّه تعالی، قال تعالی: «أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به اللّه»(الشوری/ ۲۱).

إلی آخر ما ذكره رحمه الله فی رسالته الجليلة المسماة(القاعدة الجليلة فی التوسل والوسيلة) قد أوضح فيها أنواع الشرك فراجعها إن شئت.

وقال أيضاً رحمه الله فی رسالته إلی أتباع الشيخ عدی بن مسافر ص ۳۱ ما نصّه:

«فصل: وكذلك الغلو فی بعض المشايخ إمّا فی الشيخ عدی، ويونس القنی أو الحلاج وغيرهم، بل الغلو فی علی

ص: ۵۱

ابن أبى طالب رضى الله عنه ونحوهم، بل الغلو فى المسيح عليه السلام ونحوه فكل من غلا فى حى أو فى رجل صالح كمثل علىّ رضى الله عنه أو عدى أو نحوه، أو فى من يعتقد فيه الصلاح كالحلاج أو الحاكم الذى كان بمصر أو يونس القنى، ونحوهم وجعل فيه نوعاً من الألوهيّة مثل أن يقول: كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده، أو يقول إذا ذبح شاة باسم سيدى. أو يعبده بالسجود له، أو لغيره أو يدعوه من دون اللّه تعالى مثل أن يقول: يا سيدى فلان اغفر لى أو ارحمنى أو انصرنى أو ارزقنى أو أغثنى أو أجرنى أو توكلت عليك أو أنت حسبى أو أنا فى حسبك أو نحو هذه الأقوال والأفعال التى هى من خصائص الربوبية التى لا تصلح إلّااللّه تعالى، فكلّ هذا شرك وضلال يستتاب صاحبة فإن تاب وإلّا قتل. فإنّ اللّه إنّما أرسل الرسل وأنزل الكتب لنعبد اللّه وحده لا شريك له ولا نجعل مع اللّه إلهاً آخر.

والذين كانوا يدعون مع اللّه آلهة أخرى مثل الشمس والقمر والكواكب والعزير والمسيح والملائكة واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ويغوث ويعوق ونسراً، وغير ذلك لم يكونوا يعتقدون أنّها تخلق الخلائق أو أنّها تنزل المطر أو أنّها تنبت النبات وإنّما كانوا يعبدون

ص: ۵۲

الأنبياء والملائكة والكواكب والجن والتماثيل المصورة لهؤلاء، أو يعبدون قبورهم، ويقولون إنّما نعبدهم ليقربونا إلى اللَّه زلفى. ويقولون هم شفعاؤنا عند اللَّه، فأرسل اللَّه رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة. قال تعالى: «قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلًا* أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيّهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إنّ عذاب ربك كان محذوراً»(الإسراء/ ۵۶- ۵۷).

قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً والملائكة فقال اللَّه لهم: هؤلاء الذين تدعونهم يتقربون إليّ، كما تتقربون ويرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون عذابي كما تخافون عذابي.

وقال تعالى: «قل أدعوا الذين زعمتم من دون اللَّه لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير* ولا تنفع الشفاعة عنده إلّالمن أذن له»(سبأ/ ۲۲- ۲۳) فأخبر سبحانه. أن ما يدعا من دون اللَّه ليس له مثقال ذرة في الملك ولا شرك في الملك وأنّه ليس له في الخلق عون يستعين به وأنه لا تنفع الشفاعة عنده إلّابأذنه». إلى أن

ص: ۵۳

قال رحمه الله: «وعبادة اللّه وحده هی أصل الدین، وهو التوحید الذی بعث اللّه به الرسل وأنزل به الکتب، فقال تعالی: «واسأل من أرسلنا من قبلک من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة یعبدون»(الزخرف/ ۴۵) وقال تعالی: «ولقد بعثنا فی کلّ أمّة رسولًا أن اعبدوا اللّه واجتنبوا الطاغوت»(النحل/ ۳۶) وقال تعالی: «وما أرسلنا من قبلک من رسول إلّانوحی إلیه أنّه لا إله إلّا أنا فاعبدون»(الأنبیاء/ ۲۵).

وکان النبیّ صلی‌اللّه‌علیه‌وسلم یحقق‌التوحید ویعلمه أمته حتی قال له رجل: ما شاء اللّه وشئت. فقال: «أجعلتنی‌للّه نداً؟ بل ما شاء اللّه وحده» وقال: «لا ـ تقولوا ما شاء اللّه وشاء محمد ولکن ما شاء اللّه ثم ما شاء محمد» ونهی عن الحلف بغیر اللّه تعالی فقال: «من کان حالفاً فلیحلف باللّه أو لیصمت» وقال: «من حلف بغیر اللّه فقد أشرک» وقال: «لا تطرونی کما أطرت النصاری عیسی ابن مریم وإنّما أنا عبد اللّه فقولوا عبد اللّه ورسوله».

ولهذا اتفق العلماء علی أنه لیس لأحد أن یحلف بمخلوق کالکعبة ونحوها. ونهی النبی صلی اللّه علیه وسلم عن السجود له، ولما سجد بعض أصحابه له نهی عن ذلک وقال: «لا یصلح السجود إلّاللّه» وقال: «لو کنت آمراً

ص: ۵۴

أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» وقال لمعاذ بن جبل رضی الله عنه: «أرأیت لو مررت بقبری أکنت ساجداً له؟» قال: لا، قال: «فلا تسجد لی» ونهی النبیّ صلی اللَّه علیه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد وقال فی مرض موته «لعن اللَّه الیهود والنصاری، اتخذوا قبور أنبیائهم مساجد».

إلی أن قال رحمه الله:

«ولهذا اتفق أئمة الإسلام علی أنّه لا یشرع بناء مساجد علی القبور ولا تشرع الصلاة عند القبور، بل کثیر من العلماء یقول الصلاة عندها باطلة».

إلی أن قال- رحمه اللَّه تعالی-:

«وذلک إن من أکبر أسباب عبادة الأوثان کانت تعظیم القبور بالعبادة ونحوها، قال اللَّه تعالی فی کتابه: «وقالوا لا تذرنّ آلهتکم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا یغوث ویعوق ونسراً»(نوح/ ۲۳) قال طائفة من السلف: کانت هذه الأسماء لقوم صالحین فلما ماتوا عکفوا علی قبورهم ثم صوروا تماثیلهم وعبدوها.

ولهذا اتفق العلماء علی أن من سلم علی النبیّ صلی اللَّه علیه وسلم عند قبره أنّه لا یتمسح بحجرته ولا یقبلها».

ص: ۵۵

انتهى المقصود من كلامه رحمه الله.

وقال العلّامة ابن القيم رحمه الله فى الجواب الكافى:(ص ۱۹۷- ۱۹۸) ما نصّه:

«فصل: ويتبع هذا الشرك الشرك به سبحانه فى الأفعال والأقوال والإرادات والنيات. فالشرك فى الأفعال كالسجود لغيره والطواف بغير بيته وحلق الرأس عبودية وخضوعاً لغيره وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذى هو يمين اللّه فى الأرض وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها وقد لعن النبىّ صلى اللّه عليه وسلم من اتّخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى للّهفيها، فكيف بمن اتخذ القبور أوثاناً يعبدها من دون اللّه. ففى الصحيحين عنه صلى اللّه عليه وسلم أنّه قال: «لعن اللّه اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وفى الصحيح عنه: «إن من أشرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد» وفى الصحيح أيضاً عنه: «إنّ من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإنى أنهاكم عن ذلك».

وفى مسند الإمام أحمد رضى الله عنه وصحيح ابن حبان عنه

ص: ۵۶

صلى اللَّه عليه وسلم قال: «لعن اللَّه زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج». وقال: «اشتد غضب اللَّه على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

وقال: «إن من كان قبلكم كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند اللَّه يوم القيامة» فهذا حال من سجد للَّهفى مسجد على قبر فكيف حال من سجد للقبر نفسه، وقد قال النبىّ صلى اللَّه عليه وسلم: «اللهم لا تجعل قبرى وثناً يُعبد» انتهى كلامه رحمه الله.

وبما ذكرنا فى صدر هذا الجواب، وبما نقلناه عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وتلميذه العلّامة ابن القيم رحمه الله يتضح لكم ولغيركم من القراء أن ما يفعله الجهال من الشيعة وغيرهم، عند القبور من دعاء أهلها والاستغاثة بهم والنذر لهم والسجود لهم وتقبيل القبور طلباً لشفاعتهم أو نفعهم لِمَن قَبّلها، كل ذلك من الشرك الأكبر لكونه عبادة لهم والعبادة حق اللَّه وحده كما قال اللَّه سبحانه: «واعبدوا اللَّه ولا تشركوا به شيئاً»(النساء/ ۳۶) وقال سبحانه: «وما أمروا إلّا ليعبدوا اللَّه مخلصين له الدين حنفاء»(البيّنة/ ۵).

وقال عزّ وجل: «وما خلقت الجن والإنس إلّا

ص: ۵۷

ليعبدون»(الذاريات/ ۵۶) إلى غير ذلك من الآيات التى سبق بعضها.

أمّا تقبيل الجدران، أو الشبابيك أو غيرها، واعتقاد أن ذلك عبادهٔ للّه، لا من أجل التقرّب بذلك إلى المخلوق.

فإنّ ذلك يسمى بدعهٔ لكونه تقرباً لم يشرعه اللَّه فدخل فى عموم قول النبيّ صلى اللَّه عليه وسلم: «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ» (۱)

وفى قوله صلى اللَّه عليه وسلم:

«إياكم ومحدثات الأمور فإنّ كل محدثهٔ بدعهٔ، وكل بدعهٔ ضلالهٔ» (۲)

.

وأمّا تقبيل الحجر الأسود، واستلامه واستلام الركن اليمانى فكل ذلك عبادهٔ للّهوحده واقتداء بالنبى صلى اللَّه عليه وسلم لكونه فعل ذلك فى حجهٔ الوداع وقال: «خذوا عنى مناسككم» وقد قال اللَّه عزّ وجل: «لقد كان لكم فى رسول اللَّه أسوهٔ حسنهٔ»(الأحزاب/ ۲۱) الآيهٔ.

وأمّا التبرك بشعره صلى اللَّه عليه وسلم ووضوئه، فلا حرج فى ذلك كما تقدم لأنّه- عليه الصلاهٔ والسلام- أقر الصحابهٔ عليه ولما جعل اللَّه فيه من البركهٔ، وهى من اللَّه

۱- صحيح مسلم: ۳/ ۱۳۴۳/ ۱۷۱۸.

۲- مسند أحمد: ۲۸/ ۳۷۳/ ۱۷۱۴۴- ۱۷۱۵ وبهامشه ثبت لمصادر كثيرهٔ.

ص: ۵۸

سبحانه، وهكذا ما جعل اللّه فى ماء زمزم من البركهٔ حيث قال صلى اللّه عليه وسلم عن زمزم إنّها مباركهٔ وإنّه طعام طعم وشفاء سقم. والواجب على المسلمين الاتباع والتقيد بالشرع، والحذر من البدع القوليهٔ والعمليهٔ. ولهذا لم يتبرك الصحابهٔ- رضى اللّه عنهم- بشعر الصديق رحمه الله، أو عرقه أو وضوئه ولا بشعر عمر أو عثمان أو على أو عرقهم أو وضوئهم... ولا بعرق غيرهم من الصحابهٔ، وشعره ووضوئه لعلمهم بأن هذا أمر خاص بالنبىّ صلى اللّه عليه وسلم ولا يقاس عليه غيره فى ذلك، وقد قال اللّه عز وجل:

«والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى اللّه عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم»(التوبهٔ/ ۱۰۰).

وقال كثير من الصحابهٔ- رضى اللّه عنهم-: اتّبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم.

وأمّا توسل عمر رضى الله عنه والصحابهٔ بدعاء العباس فى الاستسقاء وهكذا توسل معاويهٔ رضى الله عنه فى الاستسقاء بدعاء يزيد بن الأسود فذلك لا بأس به لأنّه توسل بدعائهما

ص: ۵۹

وشفاعتهما ولا ـ حرج فى ذلك. ولهذا يجوز للمسلم أن يقول لأخيه: أدع اللَّه لى وذلك دليل من عمل عمر والصحابة- رضى اللَّه عنهم- ومعاوية رضى الله عنه على أنّه لا يتوسّل بالنبىّ صلى اللَّه عليه وسلم فى الإستسقاء ولا غيره بعد وفاته صلى اللَّه عليه وسلم ولو كان ذلك جائزاً لما عدل عمر الفاروق والصحابة- رضى اللَّه عنهم- عن التوسل به صلى اللَّه عليه وسلم إلى التوسل بدعاء العباس ولما عدل معاوية رضى الله عنه التوسل به صلى اللَّه عليه وسلم إلى التوسل بيزيد بن الأسود وهذا شىء واضح بحمد اللَّه.

وإنّما يكون التوسل بالإيمان به صلى اللَّه عليه وسلم ومحبّته والسير على منهاجه وتحكيم شريعته وطاعة أوامره، وترك نواهيه. هذا هو التوسل الشرعى به صلى اللَّه عليه وسلم بإجماع أهل السنة والجماعة وهو المراد بقول اللَّه سبحانه «لقد كان لكم فى رسول اللَّه أسوة حسنة».

وبما ذكرنا يعلم أن التوسل بجاهه صلى اللَّه عليه وسلم أو بذاته من البدع التى أحدثها الناس ولو كان ذلك خيراً لسبقنا إليه أصحاب النبىّ صلى اللَّه عليه وسلم لأنّهم أعلم الناس بدينه وبحقه صلى اللَّه عليه وسلم ورضى اللَّه عنهم.

وأمّا توسل الأعمى به صلى اللَّه عليه وسلم إلى اللَّه

ص: ۶۰

سبحانه فی رد بصره إلیه فذلک توسل بدعائه وشفاعته حال حیاته صلی اللَّه علیه وسلم. ولهذا شفع له النبیّ صلی اللَّه علیه وسلم ودعا له.

واللَّه المسؤول بأسمائه الحسنی وصفاته العلا أن یمنحنی وإیّاکم وسائر إخواننا الفقه فی دینه والثبات علیه وأن یصلح أحوال المسلمین فی کل مکان وأن یمنحهم الفقه فی الدین وأن یولی علیهم خیارهم ویصلح قادتهم وأن یوفق جمیع حکام المسلمین للفقه فی الدین والحکم بشریعة اللَّه سبحانه والتحاکم إلیها وإلزام الشعوب بها والحذر ممّا یخالفها عملًا بقول اللَّه عزّ وجل: «فلا وربّک لا یؤمنون حتی یحکّموک فیما شجر بینهم* ثم لا یجدوا فی أنفسهم حرجاً ممّا قضیت ویسلموا تسلیماً»(النساء/ ۶۵) وبقوله سبحانه: «أفحکم الجاهلیة یبغون ومن أحسن من اللَّه حکماً لقوم یوقنون»(المائدة/ ۵۰) أنّه سبحانه ولی ذلک والقادر علیه. والسلام علیکم ورحمة اللَّه وبرکاته...

مفتی عام المملکة العربیة السعودیة

ورئیس هیئة کبار العلماء وادارة البحوث العلمیة والافتاء

***

ص: ۶۱

تعليقات

اشارة

السيّد حسن بن على السقاف

على أجوبة الشيخ عبدالعزيز ابن باز

حول التبرّك والتوسّل

ص: ۶۲

ص: ۶۳

تعليق على الرسالتين

الأستاذ حسن بن على السقاف (۱)

الحمد للّهرب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضى اللّه عن صحابته المتقين.

أما بعد: فقد قرأت ذلك الكتيب الذى حوى رسالتين: إحداهما لفضيلة الشيخ العلّامة محمد واعظ زاده الخراسانى والثانية للشيخ العلّامة بن باز، وكان الشيخ

۱- الاستاذ حسن بن على السقّاف، شافعى المذهب، وُلد فى سنة ۱۹۶۱ م فى الأردن وله نحو ثمانين مؤلّفاً منه «صحيح شرح العقيدة الطحاويّة»، «عقيدة أهل السنّة والجماعة»، «الإغاثة بأدلّة الاستغاثة»، «بهجة الناظر فى التوسل بالنّبى الطاهر»، «تناقضات الألبانى الواضحات» و... انظر: seyed

ص: ۶۴

واعظزاده الخراسانی قد بدأ فوجّه رسالهٔ إلی الشیخ بن باز ناقشه بأدب جم فی قضیتین:

الأولی: قضیهٔ التعبیر فی مسألهٔ التوسل والاستغاثهٔ واستلام الجدران والأبواب بأنّها وسیلهٔ للشرک.

الثانیهٔ: فی قضیهٔ إفتاء الشیخ بن باز بجواز الصلح مع الیهود!!

وقد أرسل فضیلهٔ الخراسانی رسالته للشیخ بن باز سنهٔ ۱۴۱۳ ه ولم یجب علیها الشیخ بن باز إلّابعد سنتین وبضعهٔ أشهر بعد أن نشر الشیخ الخراسانی رسالته!! فأجاب الشیخ بن باز علی القضیّهٔ الأولی وسکت عن الثانیهٔ فلم یجب علیها!! وقد طبعت الرسالتان ووصلتنی نسخهٔ منها، وبعد قراءتها أحببت التعلیق والتعقیب علی بعض ما جاء فی رسالهٔ الشیخ ابن باز، واللّه الهادی إلی الصواب:

فأقول:

أقرّ فضیلهٔ الشیخ بن باز فی مقدّمهٔ کلامه بعد أن ذکر شیئاً من کلام فضیلهٔ الشیخ الخراسانی أن التبرک بما مسّ جسده- علیه الصلاهٔ والسلام- من وضوء أو عرق أو شعر أو نحو ذلک أمر معروف وجائز عند الصحابهٔ رضی اللّه

ص: ۶۵

تعالى عنهم وأتباعهم.

وأقرّ أيضاً بأنّ استلام الحجر الأسود وتقبيله واستلام الركن اليمانى كذلك.

وهنا ننبه على شيئين:

الأوّل: أنّه بذلك ثبت إقراره بأن التمسح بالحجارة فى هذين الموضعين دون غيرهما والتى وصفها بأنّها لا تضر ولا تنفع هو إقرار بقاعدة عظيمة وهى أنّ التمسح والتبرك إذا لم يقترن معه اعتقاد تأثير الممسوح والمستلَم لم يكن شركاً ولا كفراً ولا بدعة ولا يجب سد الذريعة فيها!! ولا يتحوّل ذلك إلى كفر وشرك إلّاإذا قارن ذلك أن أضيف له اعتقاد التأثير، أى الضر والنفع!!

وهنا نسأل الشيخ بن باز مؤكدين هذه القضية: هل تعتبر شرعاً من استلم هذين الحجرين معتقداً أنّهما يضران وينفعان من دون اللّه تعالى ويؤثران بنفسهما كافراً مشركاً أم لا؟

ثم يثبت بإقراره الأوّل المتقدّم أن مسح الشيء ليس كفراً إن كان مشروعاً لكن هو بدعة ومن وسائل الشرك إن لم يكن مشروعاً.

والأمر الثانى: أنّه عبّر عن التبرك بما مسّ جسده

ص: ۶۶

الشريف صلى الله عليه و آله و سلم بأنّه أمر معروف و جائز عندالصحابهٔ- رضى اللّه عنهم- وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأستغرب أنا من هذا التعبير!!(عند الصحابهٔ ومن تبعهم بإحسان) وكان اللائق أن يقول:(إنّه معروف وجائز شرعاً) لا سيما وأن فى الصحابهٔ من يخالف ذلك كما اعترف الشيخ وأقر بذلك فى سيدنا ابن عمر- رضى اللّه تعالى عنهما- حيث كان يستلم منبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم!!

وقول الشيخ:(لم يوافقه عليه أبوه ولا غيره) غير صحيح، إذ لم يثبت نهى أبيه له أو نهى الصحابهٔ- رضى اللّه عنهم- له عن فعله ذلك (۱)!! ثم لم يثبت ما أورده الشيخ من أن سيدنا عمر رضى الله عنه قطع الشجرهٔ(شجرهٔ بيعهٔ الرضوان) بل المعروف عند علماء السلف ومنهم ابن جرير الطبرى أن سيدنا عمر رضى الله عنه ذهب يسأل عنها ولم يجدها!! ففى تفسير الإمام الحافظ الطبرى السلفى(۱۳/ ۸۷) عند تفسير الآيهٔ الكريمهٔ التى ذكرت فيها الشجرهٔ فقال:

۱- بل تدلّ بعض الروايات على أنّ نفراً من الصحابهٔ غير عبد اللّه مسحوا رُمانـهٔالمنبر ودعوا، أخرج ابن أبى شيبهٔ(ج ۳، ص ۱۴۳۵، الرقم ۱۵۸۷۶) بسنده عن يزيد بن عبد الملك بن قسيط قال: «رأيتُ نفراً من أصحاب النبىّ صلّى اللّه عليه وسلّم إذا خلا لهم المسجد قاموا إلى رُمانهٔ المنبر القرعا فمسحوها ودعوا، قال: ورأيت يزيد يفعل ذلك».

ص: ۶۷

«وزعموا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بـذلك المكـان بعـد أن ذهبت الشـجرة، فقـال: أين كـانت، فجعـل بعضـهم يقول هنا، وبعضـهم يقول هاهنا، فما كثر اختلافهم قال: سيروا هـذا تكلّف، فذهبت الشـجرة وكانت سـمراء، إمّا ذهب بها سيل وإما شـىء سوى ذلك».

فلو كان سيدنا عمر رضى الله عنه قطعها لما قيل ذلك ولما خفى الأمر على مثل الحافظ ابن جرير ولكان نبّه عليه!!

وعلى كل الأحوال؛ فالأصل فى ذلك ليس فعل الصحابة، وإنّما هو نصوص الشرع؛ القرآن والسنة، وهى تفيد أن ذلك ليس كفراً ولا شركاً بدليل جواز التمسح أو استلام الحجر الأسود والركن اليمانى والملتزم.

وقد سئل الإمام أحمد كما هو ثابت فى كتاب «العلل»(كتاب العلل ومعرفة الرجال: ج ۲، ص ۴۹۲، الرقم ۳۲۴۳) المروى عنه عن تقبيل قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وتقبيل منبره فقال: لا بأس بذلك (۱).

۱- والسائل ابنه عبـد اللّٰه قال: «سألته عن الرجل يمس منبر النبىّ صـلّى اللّٰه عليه وسـلّم ويتبرّك بمسّه ويقبّله ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هـذا يريـد بـذلك التقرّب إلى اللّٰه جلّ وعزّ، فقال: لا بأس بـذلك»(كتاب العلل: ج ۲، ص ۴۹۲، الرقم/ ۳۲۴۳). وقال العينى عن شيخه زين‌الـدين أخبر الحافظ أبوسـعيد ابن العلائى قال رأيت فى كلام أحمـد بن حنبل فى جزء قديم عليه خط ابن ناصـر و غيره من الحفاظ أنّ الإمام أحمد سـئل عن تقبيل قبر النبى صلى الله عليه و سلم وتقبيل منبره فقال لا بأس بذلك(عمدة القارى، ج ۹، ص ۲۴۱، كتاب الحج، باب ما ذكر فى الحجر الاسود.

ص: ۶۸

وأنتم تعلمون ذلك!!

فلو كانت هذه الأمور ذرائع للشرك والكفر لما شُرِع استلام الحجر الأسود وتقبيله ولا الركن اليمانى ولا التبرك بعرق النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وشعره وثوبه وغير ذلك، إذ يستحيل شرعاً وعقلًا أن لايكون فى‌هذه الأمور شرك أوذريعة للشرك وفى غيرها شرك!!

وقول الشيخ بن باز:

«وأما ما نقل عن ابن عمر- رضى اللَّه عنهما- من تتبع آثار النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم واستلامه المنبر فهذا اجتهاد منه رضى الله عنه، لم يوافقه عليه أبوه ولا- غيره من أصحاب النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وهم أعلم بهذا الأمر وعملهم موافق لما دلّت عليه الأحاديث الصحيحة. وقد قطع عمر رضى الله عنه، الشجرة التى بويع تحتها النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فى الحديبية لما بلغه أن بعض الناس يذهبون إليها ويصلّون عندها خوفاً من الفتنة وسداً للذريعة».

ص: ۶۹

فهذا القول غير صحيح من أوجه:

منها: أنّ ابن عمر مجتهـد، وأبوه عمر مجتهـد أيضاً- رضـى اللّه تعالى عنهما- وقول المجتهد لا ينقض بقول مجتهد آخر كما هو مقرر فى علم الأصول!!

ثم هـذا على فرض صـحة ثبوت عـدم موافقـة سـيدنا عمر لما فعله ابنه، وهـذا لم يثبت!! على أنّ الحافظ ابن حجر أجاب على هذا على فرض ثبوته إذ قال:

«لأـن ذلـك من عمر محمول على أنّه كره زيـارتهم لمثل ذلك بغير صـلاة أو خشـى أن يشـكل ذلك على من لا يعرف حقيقـة الأمر فيظنه واجباً، وكلا الأمرين مأمون من ابن عمر... فهو حجة فى التبرك بآثار الصالحين» (۱).

وما كتبه المعلق هناك على ذلك الكلام هو محض اجتهاد لا يصـمد أمام النصوص التى ستأتى بعد قليل إن شاء اللّه تعالى فى الكلام على أسطورة قطع سيدنا عمر للشجرة!!

هذا؛ ولم يثبت أن سيدنا عمر وغيره من الصحابة- رضى اللّه عنهم- لم يوافقوا ابن عمر على ما فعله البتة

۱- الفتح: ۱/ ۵۶۹.

ص: ۷۰

وهو محض تقوّل لا دليل عليه ونحن نطالب الشيخ ببيان ذلك!! وإن لم يجب ولم يتبيّن بأنّ ذلك ثابت بسند صحيح لا علة له، تبيّن صحّة قولنا بعدم ثبوت ذلك عنه! وإذا ثبت ذلك فإنّه لا ينقض اجتهاد سيدنا ابن عمر لا سيّما والأدلّة الشرعية والعقل السليم موافق لما فعل ابن عمر- رضى اللّه عنه وعن أبيه-!! فيكون بين الصحابة خلاف فى ذلك!! فلا يكون ذلك كفراً ولا ذريعة للشرك والكفر؛ بل ليس ذلك ببدعة طالما أن له دليلًا وعمل به الصحابة والسلف وأفتى الإمام أحمد بأنّه لا بأس به!!

وإننى هنا لا أودّ عرض جميع النصوص التى تثبت متابعة ابن عمر وإثبات التبرك عن غيره من الصحابة واستقصاء ذلك!! بل أكتفى أن أقول: بأن الدارمى روى فى «سننه» (۱) بسند صحيح عن أبى الجوزاء أوس بن عبد اللّه قال:

«قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة فقالت:

انظروا قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فاجعلوا منه كوىً إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا، فمطرنا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من

۱- ج ۱، باب «ما أكرم اللّه نبيّه صلى اللّه عليه وسلّم بعد موته، ص ۴۳.

ص: ۷۱

الشحم فسمى عام الفتق» (۱).

أمّا قوله:(وقد قطع عمر رضـى الله عنه الشـجرة... وسداً للذريعة) فهذا غير صحيح ولا ثابت!! وذلک لأن هذه القصّهٔ رواها ابن سعد فى «الطبقات الكبرى» (۲) عن نافع، وإسـنادها صحيح إلى نافع كما قال ابن حجر فى «الفتح» (۳) لكنها منقطعهٔ بين نافع وسيدنا عمر!! لأن نافعاً لم يـدرک سـيدنا عمر ولم يرو عنه، وقـد صـرّح الحافظ ابن حجر فى «تهذيب التهذيب» (۴) فى ترجمـهٔ نافع أن الإمام أحمد بن حنبل قال:

«نافع عن عمر منقطع».

۱- إسـناده صـحيح، أبو النعمـان هو محمـد بن الفضـل السدوسـى الملقب بعـارم، إمام ثقـهٔ، قال الـدارقطنى: لم يظهر له بعـد اختلاطه حديث منكر. وسـعيد بن زيد: ثقهٔ، قال ابن معين وابن سـعد والعجلى وسليمان بن حرب: ثقهٔ، وقال البخارى والدارمى: صدوق حافظ. وصحح له ابن القيم فى كتاب «الفروسيهٔ» ص(۲۰) وقال صديقكم الألبانى عنه فى «إرواء الغليل»(۵/ ۳۳۸): «لا ينزل به حديثه عن رتبهٔ الحسـن إن شـاء اللّه تعـالى». وعمرو بـن مالـك النكرى ثقـهٔ، أنظر «تناقضـات الألبـانى الواضـحات»(۲ / ۷۰).(هـذا التعليق من الشـيخ السقاف).

۲- ۲/ ۱۰۰.

۳- ۷/ ۴۴۸.

۴- ۱۰/ ۳۷۰.

ص: ۷۲

وقد توفی نافع سنة ۱۲۰ ه وهذا ممّا یؤکد أنّه لم یدرک ذلک. وکان ینبغی له أن یصرح بذکر اسم شیخه فی هذه الروایة!! وکان أحیاناً یجتهد فی إبداء بعض الآراء ویخطئ فی ذلک کما سیتبین بعد قلیل إن شاء اللّه تعالی. ونحن وإن صححنا السند إلی نافع فإنّه لا بدّ من التنبیه علی أن فی سند هذه القصة عبد الوهاب بن عطاء، ولیس هو بالقوی عند أبی حاتم وغیره کما یجد ذلک من یطالع ترجمته فی مثل «تهذیب الکمال» (۱) وغیره.

فالمعروف المقرر عند أهل الحدیث أن مثل هذا القول المنقطع لیس بحجّة!! لا سیّما وقد صرّح بعض الحفاظ کالإسماعیلی بأن هذا ومثله هو من قول نافع ولا یعتبر مسنداً (۲) ولا- سیما قد ثبت عنه وعن سیدنا ابن عمر ما یخالفه!! کما ثبت عن غیر سیدنا ابن عمر بإسناد صحیح ماهو ضده أیضاً!!

أمّاثبوت مایخالف هذاعنه: فروی‌ابن‌سعد (۳) قال:

«أخبرنا علی بن محمد عن جویریة بن أسماء عن نافع

۱- ج ۱۸/ ۵۰۹، رقم ۳۶۰۵.

۲- أنظر «الفتح»(۶/ ۱۱۷/ ۲۹۵۸) وشرح ذلک ص(۱۱۸) هناک.

۳- ۲/ ۱۰۵.

ص: ۷۳

قال: خرج قوم من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم بعد ذلك- أى بعد نزول الآية التى ذكرت فيها الشجرة- بأعوام فما عرف أحد منهم الشجرة واختلفوا فيها، قال ابن عمر:

كانت رحمة من اللّه».

فهذا النص يبين أنّهم لم يكونوا يعرفونها بعد ذلك، فكيف يقطع سيدنا عمر ما ليس بمعلوم ولا معروف؟! ولو فرضنا أنّه قطع شجرة- وليس هذا بصحيح ولا ثابت- فمعناه أنّه قطع شجرة أخرى ادّعى بعض الناس أنّها شجرة بيعة الرضوان ويؤكد ما قررناه ويبطل أسطورة قطع سيدنا عمر للشجرة ما رواه نافع نفسه بسند صحيح عنه عن عبد اللّه بن عمر!!

فقد روى البخارى فى «الصحيح» من طريق نافع قال: قال ابن عمر:

«رجعنا من العام المقبل، فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التى بايعنا تحتها، كانت رحمة من اللّه، يقول راوى الحديث: فسألنا نافعاً على أى شيء بايعهم، على الموت؟ قال: لا، بل بايعهم على الصبر» (۱).

۱- ۶/ ۱۱۷/ ۲۹۵۸.

ص: ۷۴

أقول: أما قوله في هذا الأثر:(رجعنا) يعني هو وبعض الصحابة الآخرين ومنهم المسيب والد سعيد بن المسيب حيث جاء عنه كما في البخاري أن سعيداً قال:

«حدثني أبي أنّه كان فيمن بايع رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم تحت الشجرة قال: «فما رجعنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها» (۱).

وفي الرواية الأخرى:

«فرجعنا إليها العام المقبل فعميت علينا».

وهذا في حياة النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم وقبل خلافة سيدنا عمر بدهر طويل، وتقدّم نقلًا من تفسير الحافظ ابن جرير: أنّ عمر بن الخطاب مرّ بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة، والظاهر أن ذلك كان في خلافته فقال:

«أين كانت؟ فجعل بعضهم يقول هنا: وبعضهم يقول:

هاهنا، فلمّا كثر اختلافهم قال: سيروا هذا تكلّف، فذهبت الشجرة وكانت سمراء؛ إمّا ذهب بها سيل وإمّا شيء

۱- ۷/ ۴۴۷/ ۱۶۳ و ۴۱۶۴.

ص: ۷۵

سوی ذلک» (۱).

فكيف بعد هذا يقال: إنّ سيدنا عمر قطعها، أی فی خلافته؟!!!

وأمّا قول ابن عمر:(كانت رحمة من اللَّه) فيه قولان ذكرهما فی «الفتح» الصحيح منهما عندنا للقرائن هو قوله هناک:

«ويحتمل أن يكون معنى قوله: رحمـة من اللَّه، أى: كانت الشـجرة موضع رحمـة اللَّه ومحل رضوانه لنزول الرضا عن المؤمنين عنـدها» وهذا لا شک فيه (۲)!!»

وقوله:(فسألنا نافعاً على أی شـیء بايعهم... قال: بل بايعهم على الصبر) مردود وغير صـحيح البتـة!! لأن البخاری روی بعـد هذا حديثين أثبت فيهما تصريح صحابيين بأنّهم كانوا يبايعون على الموت!!

فيـدلّ هـذا على أن مالم يسـنده نافع لا حجـة فيه، وهـذا أوضح مثال على ذلک فتدبّر!! لا سـيّما وأن البخاری والأئمة لم يعوِّلوا على ما ينقل بإسناد منقطع عن سيدنا عمر، بل

۱- ۱۳/ ۸۷.

۲- ۶/ ۱۷۱.

ص: ۷۶

قاموا بسرد كثير من الأحاديث والآثار المروية عن ابن عمر والتى كان يتتبع فيها المواضع التى كان قد صلى النبىّ فيها ليصلى فيها، ثم جاء سالم بن عبد اللَّه بن عمر بعد ذلك فاقتدى بأبيه، فكان يتتبع المواضع التى صلى فيها أبوه وأخبره أن النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم كان يصلى فيها!! ولو كان قد ثبت عن عمر شىء فى هذا لأورده وهو والدهم مع كون اجتهاده لا ينقض اجتهادهم!! وقد عقد البخارى فى «صحيحه» (۱) باباً سمّاه:(باب المساجد التى على طرق المدينة والمواضع التى صلى فيها النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم) أورد فيه تسعة نصوص تدل على أن هذا التبرك والتتبع هو مذهب الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين!! وليس كما يقول المعلّق على «الفتح» (۲) فى الحاشية هناك بكل جرأة غريبة من أن ذلك من ذرائع الشرك!! كبرت كلمة لا دليل عليها لا سيما وأن فيها تسفيه صريح لفعل الصحابة والتابعين والأئمة ونبذ أقوالهم وأفعالهم لرأى ليس له دليل معتبر وإنّما هو قائم على الخيالات والأوهام البعيدة عن النصوص الثابتة الشرعيّة!! لا سيما والحافظ ابن حجر يقول هناك:

«وقد تقدّم حديث عتبان وسؤاله النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم أن يصلّى فى بيته ليتخذه مصلّى وإجابة النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم إلى ذلك، فهو حجة

۱- ۱/ ۵۶۷/ ۴۸۳- ۴۹۱.

۲- ۱/ ۵۶۹.

ص: ۷۷

فی التبرک بآثار الصالحین» (۱).

وقد ذکر الحافظ نحو هذا الکلام أیضاً فی «الفتح» (۲) وحاول أن یرد علیه المعلّق هناک بکلام لا دلیل علیه وإنّما یقوم علی الرأی المخطئ الصریح!!

وقد روی البخاری عن موسی بن عقبة أنّه قال:

«رأیت سالم بن عبد اللّه یتحرّی أماکن من الطریق فیصلّی فیها ویحدّث أن أباه کان یصلی فیها، وأنّه رأی النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم فی تلک الأمکنة» (۳).

وبذلک یتلخص أن قضیة قطع سیدنا عمر لشجرة بیعة الرضوان غیر صحیحة ولا یتصوّر أن یفعل ذلک سیدنا عمر رضی الله عنه، ویثبت بما قدمناه أن من الأمور المستحبة عند الصحابة رضیاللّه عنهم أیضاً استلام الأشیاء المتعلّقة بالأنبیاء والصالحین وأنّها لیست من الشرک فی شیء.

ثم ذکر الشیخ بن باز أن دعاء الأنبیاء والأولیاء والاستغاثة بهم من الشرک الأکبر!!

۱- ۱/ ۵۶۹ الفتح.

۲- ۱/ ۵۲۲.

۳- ۱/ ۵۶۷/ ۴۸۳.

ص: ۷۸

وأقول: لنا رسالة مستقلة فی هذا الموضوع أسميناها «الأغاثة بأدلّة الاستغاثة» أثبتنا فيها جواز الاستغاثة بالأحاديث والآثار الصحيحة الثابتة وأن ذلک ليس شركاً ولا كفراً!! ومن ذلک ما رواه البخاری فی «صحيحه» عن ابن عمر- رضی اللَّه عنهما- قال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم.

«إنّ الشمس تدنو يوم القيامة حتی يبلغ العرق نصف الأذن، فبينا هم كذلک إذ استغاثوا بآدم ثم بموسی ثم بمحمد فيشفع ليقضی بين الخلق» (۱).

قال الحافظ ابن حجر عند شرح مثل هذا الحديث فی «الفتح»:

«وفيه: إنّ الناس يوم القيامة يستصحبون حالهم فی الدنيا من التوسل إلی اللَّه فی حوائجهم بأنبيائهم» (۲).

وقد ثبت أيضاً فی البخاری (۳) وغيره أن الناس يلجأون إلی النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم عند القحط ليدعو اللَّه له فی إنزال الغيث، ولم يقل لهم النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم إن المطر بيد اللَّه وليس بيدی

۱- ۳/ ۳۳۸/ ۱۴۷۴.

۲- ۱۱/ ۴۴۱/ ۶۵۷۱.

۳- ۲/ ۵۰۱/ ۱۰۱۳.

ص: ۷۹

وعليكم أن تدعو اللّه أنتم لقوله تعالى: «وإذا سألك عبادى عنّى فإنّى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان» (۱)

.

فإذا قال الشيخ:(بأن هذا توسل واستغاثة بالحى وكلامنا فى الميت)!!

قلنا: الجواب على هذا من وجهين:

الأوّل: إنّ الشرك شرك؛ سواء كان فى الدنيا أو فى الآخرة، وسواء كان المستغاث أو المتوسّل به إلى اللّه تعالى حيّاً أو ميتاً، لأن الكفر كفر فى جميع الأحوال طالما أنّك لا تنظر إلى الاعتقاد والنية والقصد!! وعمومات مثل هذه النصوص تكفى أن تشمل الاستغاثة بالنبىّ صلى الله عليه و آله و سلم قبل وفاته وبعد وفاته وفى الآخرة!!

الثانى: أنّه قد ثبتت نصوص غير هذه تثبت الاستغاثة به صلى الله عليه و آله و سلم بعد وفاته (۲)، فحديث الدارمى الصحيح

۱- البقرة/ ۱۸۶.

۲- ولعلّ هذا الأمر كان سائداً بين الصحابة، فقد كانوا يأتون قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم يبثون شكاواهم وأحزانهم عنده، كما كانوا يفعلوه والنبىّ صلى الله عليه و آله و سلم حىّ بين ظهرانيهم، فقد أخرج الحاكم فى المستدرك(باب الفتن والملاحم: ج ۴، ص ۱۲) بسند صحيح على شرط الشيخين وأقرّه الذهبى فى تلخيصه عن داود بن أبى صالح، قال: «أقبل مروان يوماً فوجد رجلًا واضعاً وجهه على القبر فأخذ برقبته وقال: أتدرى ما تصنع، قال: نعم، فأقبل عليه فإذا هو أبو أيّوب الأنصارى رضى الله عنه، فقال: جئت رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم ولم آت الحجر، سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله».

ص: ۸۰

الـذی تقـدّم فی مسألهٔ التبرک وفتح الکوی وإمطارهم، وما رواه ابن أبی شـیبهٔ بإسـناد صـحیح کما تعلمون (۱) فیمـا ذکره الحافظ ابن حجر فی «الفتح» من روایهٔ أبی صالح السمان عن مالک الدار الذی کان خازن سیدنا عمر رضی الله عنه حیث قال:

«أصـاب النـاس قحـط فی زمن عمر فجـاء رجل إلی قبر النبیّ صـلی الله علیه و آله و سـلم فقال: یا رسول اللَّه اسـتسق لأمتک فإنّهم قد هلکوا...» (۲).

وقد أقرّه سیدنا عمر ولم ینکر علیه أحد من الصحابهٔ، فصارت المسألهٔ جائزهٔ علی الإجماع السکوتی!! فلو کان ذلک شرکاً أو کفراً لما وسع سیدنا عمر والصحابهٔ- رضی اللَّه عنهم- السکوت والإقرار علی ذلک!!

ولیس المقام هنا مقام حصر للأدلّهٔ، ومن أراد أن یتتبعها فعلیه برسالتنا «الإغاثهٔ» وغیرها من کتب

۱- المصنّف: ج ۶/ ۳۵۹، الرقـم ۳۱۹۹۳. فعلی هـذا مـا قاله ابن تیمیـهٔ ونقل عنه الشـیخ بن باز بأن هـذه الروایـهٔ حکایـهٔ مکذوبـهٔ لیس بصحیح.

۲- ۲/ ۴۹۵.

ص: ۸۱

أهل العلم!! لكن يكفى أن أقول هنا أن إمام الشيخ ابن باز وهو الإمام أحمد بن حنبل جوّز الاستغاثة بغير اللّه تعالى:

فقد روى الإمام الحافظ البيهقى فى «شعب الإيمان» (۱) وابن عساكر من طريق عبد اللّه ابن الإمام أحمد، بإسناد صحيح اعترف بصحته حتى الألبانى المتناقض!! فى ضعيفته (۲) وهو فى كتاب «المسائل» لعبد اللّه ابن الإمام أحمد قال: سمعت أبى يقول:

«حججت خمس حجج منها ثنتين راكباً وثلاثة ماشياً، أو ثنتين ماشياً وثلاثة راكباً، فَضَلَلْتُ الطريقَ فى حجة وكنت ماشياً فجعلتُ أقول: يا عباد اللّه دلّونا على الطريق، فلم أزل أقول ذلك حتى وقعتُ على الطريق» (۳).

وهذا تطبيق لحديث سيّدنا عبداللّه بن مسعود رضى الله عنه المرفوع:

«إذا ضلّ أحدكم شيئاً أو أراد غوثاً وهو بأرض ليس بها

۱- ج ۶، ص ۱۲۸، الرقم ۷۶۹۷.

۲- ۲/ ۱۱۱.

۳- ۲۱۷.

ص: ۸۲

أنيس فليقل: يا عباد اللَّه أغيثونى، يا عباد اللَّه أغيثونى، فإنّ للَّهعباداً لا نراهم» (۱).

وهذه استغاثة صريحة بغير اللَّه تعالى!! وللحديث عدّة ألفاظ تجدها فى رسالتنا «الإغاثة» (۲).

وقد نص جماعة من أهل الحديث على أن ذلك جرّب فتحقق، منهم:

الحافظ الطبرانى عقب روايته لهـذا الحديث (۳)، والحافظ الهيثمى فى «مجمع الزوائـد» (۴) والإمام النووى فى «الأذكار» (۵) وذكر أنّ بعض شيوخه الكبار فعل ذلك (۶)، وقد حسّن هذا الحديث الحافظ ابن حجر فى «أمالى الأذكار» (۷)

۱- ولحديث شاهد من حديث ابن عباس، أخرجه الحافظ البيهقى فى شعب الإيمان(ج ۶، ص ۱۲۸، الرقم ۷۶۹۷).

۲- ص ۲۲.

۳- ورواه الطبرانى بسنده عن النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم انظر:(المعجم الكبير: ج ۱۷، ص ۱۱۷- ۱۱۸، الرقم ۲۹۰).

۴- ۱۰/ ۱۳۲.

۵- ص ۲۱.

۶- وبعض آخر كالشوكانى فى «تحفـة الذاكرين»(ص ۴۶) وابن الجزرى فى «الحصن الحصـين»(انظر: تعليق على سير أعلام النبلاء: ج ۱۰، ص ۱۰۷).

۷- أنظر شرح العلامة ابن علان على الأذكار(۵/ ۱۵۱).

ص: ٨٣

وقال: هو مجرب (١) واعترف بحسنه الألبانى فى ضعيفته حيث قال هناك:

«وبعد كتابة ما سبق وقفت على إسناد البزار فى «زوائده»... قلت: وهذا إسناد حسن كما قالوا...» (٢).

وهذا كلّه وغيره كثير يثبت أن ما ذكره الشيخ بن باز من قوله: إنّ ذلك شرك أكبر، ليس بصحيح!! بل ليس شركاً أصغر، وإنّما هو من الأمور المستحبات التى وردت فى الأحاديث الثابتة واستعملها السلف الصالح!! لكن أباها الشيخ هداه اللَّه تعالى!!

وأُذكّر القارئ هنا بأن الحافظ المحدث الذهبى نقل عبارات عديدة عن السلف تفيد بكل صراحة بأن هذه الأمور ليست شركاً بل هى من الأمور المشروعات أو المستحبات، فمن ذلك قول الذهبى فى «سير أعلام النبلاء» قال إبراهيم الحربى:

١- انظر: شرح العلّامة ابن علان(الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية: ج ٥، ص ١٥١).

٢- ٢/ ١١١.

ص: ۸۴

«قبرُ معروفٍ الترياقُ المجرَّب. يريد إجابة دعاء المضطر عنده لأن البقاع المباركة يستجاب عندها الدعاء» (۱).

وقال الذهبی فی «السیر» أیضاً فی ترجمة السیدة نفیسة:

«والدعاء مستجاب عند قبرها، بل وعند قبور الأنبیاء والصالحین» (۲).

أمّا الآیات الکریمة التی أوردها الشیخ فإنّها لا تدل علی ما یرید!! وذلک لأنّه لیس کل دعاء عبادة ومعنی حدیث «الدعاء هو العبادة» أی دعاء اللَّه تعالی من جملة عبادة اللَّه أو من أعظم العبادات کما قال ذلک المناوی فی «الفیض» (۳)!! لا أن کل دعاء عبادة البتة!!

وتدل علی ذلک النصوص مثل قوله تعالی: «لا تجعلوا دعاء الرسول بینکم کدعاء بعضکم بعضاً» (۴)

وقد توسعت فی شرح ذلک وبیانه و ما یتعلّق به فی کتابی «التندید بمن عدّد التوحید» (۵) فلیراجع!!

۱- ۹/ ۳۴۳.

۲- ۱۰/ ۱۰۷.

۳- ۳/ ۵۴۰.

۴- النور/ ۶۳.

۵- ۳۰/ ۴۲.

ص: ۸۵

والعجب أن الشيخ أورد قوله تعالى: «ويعبدون من دون اللَّه مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند اللَّه...» (۱)
وأن اللَّه تعالى ردّ عليهم!!
وأقول مجيباً: لا يمكن تطبيق هذه الآية على المسلمين المؤمنين الموحدين (۲) الذين يتوسلون ويستغيثون

۱- يونس / ۱۸.

۲- بل لا- يجب أبداً تطبيق أيّ من الآيات الصادرة حول المشركين، على المؤمنين وعقائدهم؛ لأنّه لا يمكن أبداً مقارنة ما يتوهّمه المشركون مع عقائد المؤمنين الحقّة، ومن جملتها:

ص: ۸۶

ص: ۸۷

بالنبيّ صلى الله عليه و آله و سلم وغيره من عباد اللَّه الصالحين!! وذلک لأن معنى الاستغاثة أن زوار الأنبياء وقبور الأولياء يطلبون منهم أن يـدعوا اللَّه لهم فى قضاء حوائجهم، ولا يعبدونهم ولا يعتبرونهم آلهة ويعتقدون أنهم لا يستقلّون من دون اللَّه تعالى بالضر والنفع، ولا يسجدون لهم!! خلافاً لأولئک الكفار الذين نزلت فيهم هذه الآية وغيرها من الآيات الكريمة حيث كانوا يسجدون لتلک الأصنام ويعبـدونها من دون اللَّه تعالى!! أما قولهم: «هؤلاء شفعاؤنا عنداللَّه» فمثل هذه المقالة منهم هى محض كذب منهم عند محاججة النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم لهم وإقامة الحجة عليهم فلا يذعنون ولا ينقادون للأنبياء ولا يدرون بماذا يجيبون فيقولون هذه الجمل التى لا يعتقدونها ولا يؤمنون حقيقةً بمضمونها، فهى كذب بحت منهم، وقد بيّن اللَّه تعالى لنا أنّ هذه الجمل هى محض كذب

ص: ٨٨

منهم حيث قال فى الآيات الأخرى التى أوردها الشيخ مفسراً لها على غير ما قررناه وهى قوله تعالى:

«... والـذين اتخـذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلّاليقربونا إلى اللَّه زلفى إنّ اللَّه يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون إن اللَّه لا يهدى من هو كـاذب كفار»(الزمر/ ٣) فبين اللَّه تعـالى لنـا أن هؤلاـء الكفـار كاذبون فيما زعموه لأنّهم لا يعرفون اللّه ولا يريـدون السـجود له ولا يعترفون ولا يؤمنون به والـدليل على ذلك وهو الذى لا يختلف فيه اثنان قوله تعالى: «وإذا قيل لهم اسـجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسـجد لمـا تأمرنـا وزادهم نفوراً»(الفرقان/ ٦٠)، وقـوله تعـالى: «... وهم يكفرون بـالرحمن قـل هـو ربّى...»(الرعـد/ ٣٠)، وقـال تعالى: «وضـرب لنـا مثلًا ونسـى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم* قُل يُحييها الـذى أنشأها أوّل مرّة...»(يس/ ٧٨- ٧٩)، وقال تعالى: «ولا تسـبوا الـذين يـدعون من دون اللَّه فيسـبوا اللَّه عـدوا بغير علم...»(الأنعـام/ ١٠٨)، فهـذه الآيـات جميعهـا تثبت خطأ الاسـتدلال بالآيات الأخرى التى ذكرناها على أن الاستغاثة ومطلق الدعاء شرك!! لأن هذه الآيات تثبت أن أولئك ما كانوا يؤمنون باللَّه تعالى مطلقاً فضلًا عن أن يعتقدوا بأنّ أولئك الأصنام

ص: ۸۹

وغيرها ممّن اتخذوها آلهة من دون اللّه تعالى ما هى إلّا وسيلة تقربهم للّه‌تعالى وتشفع لهم عنده!! فلو كان كذلك لعظموا اللّه تعالى، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن، لذلك قال اللّه تعالى عنهم: «... إنّ اللّه لا يهدى من هو كاذب كفّار»(الزمر/ ۳) وبذلك ينهدم كلام الشيخ واستدلاله بتلك الآيات الكريمة.

وهنا نعيد له كلامه الذى ردده هناك بعد هذا البيان الواضح ونقول له:

(فالواجب على مثلكم تدبر هذا المقام وإعطاؤه ما يستحق من العناية)!!

وما أورد الشيخ هناك(ص ۵) فى مقالته من آيات فسرها كما يريد على أن دعاء غير اللّه من الأنبياء والملائكة والجن وغيرهم شرك!! فلا يتم له بها الاستدلال لأننا قدّمنا ما هو الصحيح من معناها لا سيما وقد خالفه فى الملائكة فى هذه القضية الشيخ الألبانى حيث استثنى الملائكة لحديث حسن أورده فى ضعيفته هناك إذا قال:

«فهذا الحديث إذا صح يعيّن أن المراد بالحديث الأوّل(يا عباد اللّه) إنّما هم الملائكة، فلا يجوز أن يلحق بهم

ص: ۹۰

المسلمون من الجن أو الإنس ممّن يسمونهم برجال الغيب» (۱).

ثم اعترف بعد ذلک بأسطر بأنّه وقف علی إسناد الحدیث فی زوائد البزار وأنّه حسن کما قال الحفاظ!!

ملاحظهٔ: ثم ألف نظر الشیخ هنا إلی مسألهٔ الاستغاثهٔ بالأنبیاء، أی سؤالهم عند الوقوف علی قبورهم وخاصهٔ سیدنا محمد صلی الله علیه و آله و سلم أن یدعو اللّه لنا فی قضاء الحاجات کما نص علی ذلک جمع من الأئمهٔ منهم الإمام الحافظ النووی فی المجموع «شرح المهذب» (۲) فی باب ما یستحب أن یقول عند الزیارهٔ- أنّ الأنبیاء أحیاء وکذا الشهداء: «ولا تحسبنّ الذین قتلوا فی سبیل اللّه أمواتاً بل أحیاء عند ربهم یرزقون»(آل عمران/ ۱۶۹) ولا نحتاج لتأویل کلمهٔ أحیاء وإخراجها عن المعنی الذی نفهمه والذی تدل علیه اللغهٔ العربیهٔ التی نزل بها القرآن إلی معنی لا نفهمه، لأنّ اللّه تعالی یخاطبنا فی هذه الآیهٔ بما نفهم ونعقل!! فإذا کانوا أحیاء (۳)

۱- ۲/ ۱۱۱.

۲- ۸/ ۲۷۴.

۳- کما إنّنا نفهم معنی «أمواتاً» فی الآیهٔ ولا نحتاج لتأویلها، وقدجعل اللّه‌تعالی کلمهٔ «أحیاء» هنا فی قبال کلمهٔ «أموات» ومعناهما معلوم فی اللغهٔ العربیهٔ التی نزل بها القرآن الکریم؛ بل توجد روایات کثیرهٔ تدلّ علی أنّ جمیع «الأموات» یدرکون- حسب مراتبهم- أموراً کثیرهٔ، ولا تنقطع علاقتهم بالدنیا بشکل کامل.

ص: ٩١

ص: ۹۲

ص: ۹۳

وبعد سلام الزائر عليهم خاطبهم ليدعوا اللّه له في قضاء حاجته فما هو المانع من ذلك وما هو الشرك في هذا؟!!

لا سيما وابن قيّم الجوزية يقول في كتابه «الروح»(انظر: الروح، ص ۴۷) كما نقل المحدّث الكتاني عنه في «نظم المتناثر من الحديث المتواتر»(حديث رقم ۱۱۵).

«صحّ عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم أنّ الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وأنّه صلى الله عليه و آله و سلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء... وقد أخبر بأنّه ما من مسلم يسلّم عليه إلّارد اللّه عليه روحه حتى يردّ عليه السلام (۱) إلى غير ذلك ممّا يحصل من جملته القطع بأن

۱- وقال السيوطي في «مرقاة الصعود» أحاديث حياة الأنبياء في قبورهم، متواترة وقال في «أنباء الأذكياء بحياة الأنبياء» ما نصه: «حياة النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم في قبره وسائر الأنبياء معلومة عندنا علماً قطعياً، لما قام عندنا من الأدلّة في ذلك وتواترت به الأخبار الدالّة على ذلك وقد ألّف الإمام البيهقي رحمه الله جزءاً في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم»(انظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر، ص ۳۵، تعليق حديث رقم ۱۱۵) وقد تقدّم رأى الذهبي بقوله: «فمن وقف عند الحجرة المقدسة ذليلًا مُسَلِّماً مصلّياً على نبيّه فيا طوبى له فقد أحسن الزيارة وأجملَ في التذلل والحُبّ وقد أتى بعبادة زائدة على من صلّى عليه في أرضه...»(سير أعلام النبلاء: ج ۴، ص ۴۸۳، الرقم ۱۸۵) وأخرج الهيثمي عن عبد اللّه بن مسعود عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم قال: «إن للّهملائكة سيّاحين يبلِّغون عن أمتي السلام...» رواه البزار ورجاله رجال الصحيح»(مجمع الزوائد: ج ۹، باب ما يحصل لأمّته من الاستغفار بعد وفاته، ص ۲۴) وروى أبو داود بسند صالح والبيهقي كما نقل عنهما الشيخ منصور على ناصف في كتابه «التاج الجامع للأصول»(كتاب الحج، ج ۲، باب زيارة قبر النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم) وعن أبي هريرة عن النبيّ صلّى اللّه عليه وسلم قال: «ما من أَحَدٍ يُسَلِّم عَلَيَّ إلّاردّ اللّه عليَّ روحي حتّى أردّ عليه السلام» ونقل أيضاً عن أبي داود بسند صالح والضياء عن أبي هريرة عن النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم قال: «... وصلّوا عليَّ فإنّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم»(نفس المصدر) كما أورد القاضي عيّاض(م/ ۵۴۴) فصلًا في كتابه «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، ص ۶۶۶- ۶۷۸) وبعد أن ذكر في بداية الفصل: «وزيارة قبره صلّى اللّه عليه وسلّم سُنّة من سنن المسلمين مُجتَمعٌ عليها وفضيلة مرغَّبٌ فيها»، أورد شطراً من الروايات في ذلك الباب. كما يذكر تقي الدين السبكي بالتفصيل(م/ ۷۵۶) روايات كثيرة في هذا الباب في كتابه المعروف: «شفاء السقام في زيارة خير الأنام»، وبعد ذكره بعض المتابعات والشواهد حول هذه الروايات يبدأ ببحث وتحليل سندها ودلالتها ثمّ يعمد إلى دفع الشبهات والإشكالات.

ص: ۹۴

موت الأنبياء إنّما هو راجع إلى أن غُيِّبوا عنا بحيث لا ندركهم (۱) وإن كانوا أحياء موجودين كالملائكة فإنّهم

۱- ويؤيّده ما رواه الهيثمى عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه صلّى اللَّه‌عليه وسلّم: «الأنبياء أحياء فى قبورهم يُصَلّون» قال الهيثمى: ورواه أبو يعلى والبزار ورجال أبى يعلى ثقات(مجمع الزوائد: ج ۸، باب ذكر الأنبياء صلّى اللَّه عليهم وسلّم، ص ۲۱۱) وانظر أيضاً سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى(ج ۲، ص ۱۸۷- ۱۹۲) قال: «وقد كنت برهة من الدهر أرى أنّ هذا الحديث ضعيف لظنى أنّه ممّا تفرّد به ابن قتيبة- كما قال البيهقى- ولم أكن قد وقفت عليه فى «مسند أبى يعلى» و «أخبار اصبهان» فلمّا وقفت على إسناده فيهما تبيّن لى أنّه إسناد قوى وأنّ التفرّد المذكور غير صحيح...».

ص: ۹۵

أحياء موجودون ولا نراهم».

انتهى ما أردنا نقله، فتأمّل!!

ثم نقل الشيخ كلاماً لابن تيمية لم يخرج ما فيه من الكلام عن ما ذكرناه وفند من أقوال لا دلالة فيها وإنّما هو إعادة الكلام وإبدائه فيما لا تحقيق فيه!!

ونلفت النظر هنا إلى أنّ كلام ابن تيمية لا قيمة له عندنا لأنّه هو الأساس في كل الخصومة بينه وبين باقى المسلمين فلا يجوز أن نأتى بكلام الخصم سواء، الفتاوى أو من رسالته إلى أتباع الشيخ عدى بن مسافر فنورده على أنّه حجة أو كلام من شخص معتبر!! فإنّ الشيخ العلّامة الخراسانى لو جلب للشيخ كلام أحد أئمة الإمامية لم يقبل منه الشيخ ذلك ولقال له هذا لا يعترف به عندنا فلا فائدة من إيراد كلامه هنا!!

فكذلك ابن تيمية لا قيمة ولا اعتبار له عند جمهور

ص: ۹۶

علماء أهل السنة (۱) من غير المتمسلفين فى القديم والحديث، وكم لهم عليه وعلى أفكاره من ردود يعرفها الشيخ!! وكذا لا قيمة له عند الإمامية والزيدية والأباضية وغيرهم من المسلمين الموحدين. فكلام ابن تيمية لا يصح إيراده وهو غير مقبول ومن كانت لديه حجة فليوردها بعيداً عن ابن تيمية. والمناظرة أو المباحثة والمناقشة يجب أن تكون الأدلّة والأقوال التى يتم الحوار بناء عليها متفقاً عليها أو معترفاً بها عند طرفه وإلّا كان إيرادها من العبث الذى لا قيمة له.

وبقى شيئان فى كلام الشيخ يجب الجواب عليهما

۱- انظر على سبيل المثال كلام تقى الدين السبكى فى مقدمة كتابه «الدرالمضيئة فى الرد على ابن تيمية» والذهبى فى رسالته «بيان زغل العلم والطلب»(وهذه الرسالة ثابتة عن الذهبى وذلك لأنّ الحافظ السخاوى قد نقل عنه هذه العبارة فى كتابه «الإعلان بالتوبيخ» قال: «قد رأيت له- للذهبى- عقيدة مجيدة ورسالة كتبها لابن تيمية هى لدفع نسبته لمزيد تعصبه مفيدة.» انظر: الإعلان بالتوبيخ، ص ۷۷) وابن حجر العسقلانى فى «لسان الميزان»(ج ۷، ص ۱۵۳۰، الرقم ۹۴۶۵) وابن حجر الهيثمى فى «الفتاوى الحديثة»(ص ۱۴۴) وكتابه الآخر «الجوهر المنظم فى زيارة القبر المكرم»(ص ۱۲) وتاج الدين السبكى فى «طبقات الشافعية الكبرى: ج ۱۰، ص ۴۰۰، الرقم ۱۴۱۷) وتقى الدين الحصنى فى «دفع الشبهة عن الرسول والرسالة»(ص ۸۳) ومحمود بن عبد اللّه الآلوسى فى «روح المعانى»(ج ۱، ص ۳۶) ومحمد زاهد الكوثرى فى «السيف الصيقل».

ص: ۹۷

باختصار، وإذا لم يقتنع بذلك فإننا سنطيل تفصيله والاستدلال عليه، وهما:

الأوّل: اعتباره أن تقبيل الشيء واستلامه نوع من أنواع العبادة!!

والجواب عليه: إن الأمر ليس كذلك، فقد قبّل النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم وجه الصحابى الجليل عثمان بن مظعون وهو ميت وقبّل ما بين عينيه!! أنظر «مجمع الزوائد»(۳/ ۲۰) وغيره.

ومن ذلك تقبيل يد الوالدين واستلامهما مع تعظيمهما واحترامهما لا يعتبر عبادة بالاتفاق.

فاستلام الشيء لا يعتبر من العبادات حتى يحكم بذمه وأنه من الشركيات والبدع المذمومات!!

والثانى: أن حديث «لعن اللّه اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» لا يصح وإن رواه الشيخان لأنّ معناه مصادم لما جاء فى القرآن كما سنبين وليس هذا بعجب!! فقد أمر الإمام أحمد بالضرب على أحاديث وقد خرجها فيما بعد الشيخان!! منها حديث «يهلك أمتى هذا، الحى من قريش قالوا ما تأمرنا يا رسول اللّه؟ قال: لو أن

ص: ۹۸

الناس اعتزلوهم» (۱)

.

قال عبداللَّه بن الإمام أحمد فی «المسند» عقبه مباشرهٔ:

«قال أبی فی مرضه الذی مات فیه: اضرب علی هذا الحدیث فإنّه خلاف الأحادیث عن النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم یعنی قوله: اسمعوا و أطیعوا» (۲).

وهذا الحدیث الذی فیه اتخاذ الیهود والنصاری قبور أنبیائهم مساجد فیه بکل صراحهٔ تعظیم أنبیائهم!! لکن القرآن الکریم بین أن الیهود لم یکونوا یحترمون الأنبیاء بل کانوا یکذبونهم ویقتلونهم!! قال تعالی:

«... أفکلما جاءکم رسول بما لا تهوی أنفسکم استکبرتم ففریقاً کذبتم وفریقاً تقتلون»(البقرهٔ/ ۸۷)، وقال تعالی:

«... قُل فلم تقتلون أنبیاء اللَّه من قبل إن کنتم مؤمنین»(البقرهٔ/ ۹۱).

ولذلک أورد هذا الحدیث المحدث الشریف عبد اللَّه بن الصدیق الغماری- أعلی اللَّه درجته- فی کتابه «الفوائد

۱- انظر: البخاری مع الفتح، ج ۶، ص ۱۶۱۲، الرقم ۳۶۰۴؛ ومسلم: ج ۴، کتاب الفتن وأشراط الساعهٔ، ص ۲۲۲۶، الرقم ۲۹۱۷.

۲- ۲/ ۳۰۱ والطبع المحقق: ۱۳/ ۳۸۳.

ص: ۹۹

المقصودة في بيان الأحاديث الشاذة المردودة».

وأورد السيد المحدث الغماري هناك: أنّ اللَّه تعالى أثبت في القرآن الكريم أذية اليهود لنبيهم الأكبر سيدنا موسى- عليه الصلاة والسلام- في عدة آيات، منها قوله تعالى: «وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول اللَّه إليكم فلما زاغوا أزاغ اللَّه قلوبهم واللَّه لا- يهدي القوم الفاسقين»(الصف/ ۵) هذا ولا- يعلم أنّهم أقاموا لأكبر وأعظم أنبيائهم سيدنا موسى قبراً يزورونه ويعظمونه حتى الآن!! فكيف يقال بعد ذلك إنّهم عظموا قبور أنبيائهم واتخذوها مساجد؟!!

وأمّا النصارى فليس لهم إلّانبي واحد!!

وأمّا إنكار الشيخ التوسل بالأنبياء في آخر جوابه أو مقاله، فجوابه أن الأحاديث الصحيحة في هذا الموضوع كثيرة جداً أفردت بتصنيفات مستقلة معلومة عندكم فيها أحاديث كثيرة صحيحة، منها حديث عثمان بن حنيف في قصّة الأعمى الذي علّمه النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم أن يقول:

«اللهم إنّي أتوجّه إليك بنبيك محمّد نبي الرحمة...».

رواه الترمذي والنسائي والحاكم وغيرهم وصححه

ص: ١٠٠

الأئمة (١)، وفى رواية ابن أبى خيثمة فى تاريخه بإسناد صحيح زيادة: «وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك» وكذا علّم سيدنا عثمان بن حنيف رضى الله عنه- راوى هذا الحديث- رجلًا بعد وفاته صلى الله عليه و آله و سلم أن يدعو بمثل هذا الدعاء، وهو صحيح رغم محاولات بعضهم لتضعيفه، وتجد تفنيد أقوال من يحاول تضعيفه والكلام على تلك الروايات وعلى سندها وتحقيق ذلك فى كتاب المحدّث الغمارى «إرغام المبتدع الغبى بجواز التوسل بالنبى» أن ابن تيمية أقرّ أخيراً بجواز التوسل وأصر وبقى منكراً للأستغاثة (٢)!!

والأصل فى ذلك كلّه قوله تعالى: «وابتغوا إليه الوسيلة»(المائدة/ ٣٥) وقوله تعالى: «يبتغون إلى ربّهم الوسيلة»(الإسراء/ ٥٧).

هذا؛ ونسأل اللَّه تعالى أن يمنحنا وإياكم وسائر

١- انظر: التعليق على مسند أحمد: ج ٢٨، ص ٤٧٨، الرقم ١٧٢٤٠؛ والجامع‌الصغير للسيوطى: ج ١، ص ٩٤، الرقم ١٥٠٨؛ وفيض القدير للمناوى: ج ٢، ص ١٦٩- ١٧٠، الرقم ١٥٠٨.

٢- قال المناوى بعد شرحه للحديث: «قال السبكى ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبىّ إلى ربّه ولم ينكر ذلك أحد من السلف ولا من الخلف حتّى جاء ابن تيمية فأنكر ذلك وعدل عن الصراط المستقيم وابتدع ما لم يقله عالم قبله وصار بين أهل الإسلام مثلة»(فيض القدير: ج ٢، ص ١٦٩- ١٧٠، الرقم ١٥٠٨).

ص: ۱۰۱

المسـلمين الرجوع للحق وتقوى اللَّه تعالى فى السر والعلن وأن يكرمنا جميعاً بالتفقه فى دينه والثبات على التوحيد الخالص وأن يصلح أحوال المسـلمين فى كل مكان وأن يكرمهم بالفقه فى الـدين والحرص على الخيرات وترك المنكرات (۱) وأن يولى عليهم خيارهم ليحكموا بشـرع اللَّه تعالى انصـياعاً لقوله جلّ جلاله: «فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شـجر بينهم ثم لا يجـدوا فى أنفسـهم حرجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليماً»(النساء/ ۶۵) ولقوله تعالى:

«أفحكم الجاهليـة يبغون ومن أحسن من اللَّه حكماً لقوم يوقنون»(المائـدة/ ۵۰) اللّهمّ صلّ وسـلّم وبارك على سـيّدنا محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين ورضوان اللَّه تعالى على صحابته المتقين وآخر دعوانا أن الحمد للَّهربّ العالمين.

۱- وفى الختـام وبعـد أن اطّلع القراء الكرام على أدلـة جواز التوسل والتبركوالزيارة والتقبيل، وعلموا أنّ علماء كبار أمثال: أحمـد بن حنبـل، والـذهبى، والسـبكى، وابن حجر، والنووى والمنـاوى و... يقولون بجواز هـذه الأـمور. نودّ أن نلفت نظرهم إلى أنّ أمثال هؤلاء العلماء والحفّاظ قد أفتوا وصرحوا بجواز هذه الأمور بعد بحث وتحقيق وإقامة الدليل، لا عن حدس وتقليد. وعلى هذا، إذا اعتبرنا هذه الأمور شـركاً باللَّه تعالى، فلا بدّ أيضاً اعتبار أمثال هؤلاء العلماء العظام مشـركين أو كفّار. ونحن نترك لكم الحكم والقضاء فى تصور العواقب والتأثيرات التى يمكن أن يتركها مثل هذا الأمر.

ص: ١٠٢

ص: ۱۰۳

التبرّک والتوسّل علی ضوء الکتاب والسنّهٔ

اشارهٔ

ملاحظات و تعلیقات علی أجوبهٔ الشیخ عبدالعزیز بن باز بقلم:
آیهٔ اللَّه الشیخ جعفر السبحانی

ص: ١٠٤

ص: ۱۰۵

تعلیق آخر (حوارات عقائديّة معاصرة)

اشارة

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الحمد للَّهرب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أما بعد:

فقد وقفت على رسالة لسماحة الشيخ الجليل محمد واعظ زاده الخراسانی كتبها إلى المفتى العام للملكة العربية السعودية الشيخ عبدالعزيز بن باز بتاريخ ۱۱ ذى الحجة الحرام عام ۱۴۱۳ ه. وقد صدرت اجابة من مكتب المفتى بتاريخ ۶ جمادى الأُخرى عام ۱۴۱۶ ه، برقم ۱۱۶۵۱، واشتملت الرسالة الأُولى على أمرين:

الأوّل: مسألة التبركوالتوسل بالنبى وبالأولياء فى حياتهم ومماتهم.

الثانی: مسألة الصلح مع العدو الصهيونى الّذى أجازه

ص: ۱۰۶

الشيخ ابن باز فى بعض بحوثه، إذا لم يكن بإمكان المسلمين الحرب مع هذا الكيان، استناداً إلى صلح النبى مع المشركين فى الحديبية.

ولكن المفتى أجاب عن المسألة الأُولى ولم يجب شيئاً عن المسألة الثانية بتاتاً.

ثم إنى قد وقفت على تعقيب على الرسالتين للأُستاذ حسن بن على السقاف، والرسائل الثلاث منتشرة فى كتيب بعنوان «التبرك والتوسل والصلح مع العدو الصهيونى».

وقد طلب منى بعض الاعزاء ان اعلّق على رسالة المفتى ببعض ما يمكن اعتباره جواباً عنها، وأُبيّن موقف الشريعة الإسلامية من هذه المواضع على ضوء الكتاب والسنة.

وقد كتبت فيما مضى رسائل وبحوثاً حول هذه المواضيع، والّذى يورث الاسف ان المفتى وتلامذته ومن على منهجه يقلّدون منهج استاذهم محمد بن عبد الوهاب كما أنّه قلد استاذ منهجه- أحمد بن تيمية. ويشهد على ذلك انّه ملأ رسالته بكلام ابن تيمية واعتمد عليه كليّاً غاضاً الطرف عن الكثير من الردود الاتى دونها لفطاحل من علماء المسلمين فى بيان نقاط الخلل فى فكره ومجانبته للحقيقة.

ص: ۱۰۷

وبما أن مسألة التبرك والتوسل صارت ذريعة لرمى جماهير غفيرة من المسلمين بتهمة البدعة والشرك فلم أجد بداً من أيضاح الموضوع، لعل اللَّه يحدث بعد ذلك أمراً.

وربّما يوجد فى الجيل المعاصر من يؤثر الحق على التعصب المقيت والتقليد الأعمى.

وها نحن نذكر خلاصة كلام المفتى فى مقاطع مختلفة، ثم نعرج عليه بالتحليل والدراسة.

۱. التبرک بالآثار

فرّق الشيخ المفتى فى رسالته بين التبرك بما مسّ جسده صلى الله عليه و آله و سلم فافتى بجوازه وما لم يمس جسده فافتى بانّه بدعة لا أصل لها، فقال:

فأما التبرك بما مسّ جسده- عليه الصلاة والسلام- من ماء وضوء اوعرق أو شعر ونحو ذلك، فهذا أمر معروف وجائز عند الصحابة- رضى اللَّه عنهم- وأتباعهم بإحسان، لما فى ذلك من الخير والبركة.

وعلى هذا أقرّهم النبى صلى الله عليه و آله و سلم.

فامّا التمسح بالأبواب والجدران والشبابيك ونحوها فى المسجد الحرام أو المسجد النبوى فبدعة لا أصل

ص: ۱۰۸

لها والواجب ترکها لأن العبادات توقیفیهٔ لا یجوز منها إلّاما أقرّه الشرع لقول النبی صلی الله علیه و آله و سلم: «من أحدث فی أمرنا هذا ما لیس منه فهو ردّ». (۱) یلاحظ علیه أوّلًا: بانّه جمع فی کلامه بین أمرین، فتارهٔ وصف التبرک بما لم یمس بدنه صلی الله علیه و آله و سلم بکونه بدعهٔ لاـ أصل لها، وأُخری بکونه عبادهٔ غیر واردهٔ فی الشرع، وان العبادات توقیفیهٔ، مع أن الجمع بینهما فی هذا الموضع أمر غیر صحیح، لأن التبرک بما مس جسده الشریف، إذا لم یکن عبادهٔ للنبی، لا یکون التبرک بما لم یمس جسده الشریف عبادهٔ له أیضاً، بل أقصی ما یمکن أن یقال- حسب زعمه- أنّه بدعهٔ.

وإذا کان التبرک بالآثار فی حد ذاته شرکاً وعبادهٔ لصاحب الأثر فلا یخرج عن کونه شرکاً وعبادهٔ إذا مسّ جسد النبی وذلک لأن الشرک شرک لا یتبدل ولا یتغیر عن واقعه بمسّه جسد المعصوم.

وثانیاً: إن ظاهر کلامه: إن لجسده صلی الله علیه و آله و سلم تأثیراً فی ذلک الشیء الّذی یتبرک به، مع أن هذا مخالف لأُصول أهل السنّهٔ إذ لا مؤثر فی الکون إلّااللَّه سبحانه وأنّه لیس لشیء

۱- صحیح مسلم: ۳/ ۱۳۴۳/ ۱۷۱۸.

ص: ۱۰۹

من الأشیاء أیّ تأثیر فی شیء، ومنطقهم هو البیت التالی:

ومن یقل بالطبع أو بالعلّة فذاک کفر عند أهل الملّة

یقول الزبیدی: کل من أثبت مؤثراً غیر اللَّه من علّة أو طبع أو ملک أو أنس أو جنّ فقد قال بمقولة المجوس. (۱) وثالثاً: إن البدعة تتقوّم بالقیود الآتیة:

۱. ادخال شیء فی الدین عقیدة أو حکماً أو عملًا بزیادة أو نقیصة.

۲. ان تکون هناک إشاعة ودعوة.

۳. أن لا یکون هناک دلیل فی الشرع یدعم جوازها لا بالخصوص ولا بالعموم.

اما القیدان الأوّلان، فلا حاجة إلی البحث فیهما، إنما الکلام فی القید الثالث وهو أن مقوّم البدعة عدم وجود أصل لها فی الدین، لا خصوصاً ولا عموماً.

وهذا ممّا أطبق علیه کبار أهل السنة، قال ابن رجب:

المراد بالبدعة ما أحدث ممّا لا أصل له فی الشریعة یدلّ علیه، امّا ما کان له أصل من الشرع یدلّ علیه فلیس ببدعة

۱- اتحاف السادة: ۲/ ۱۳۵.

ص: ۱۱۰

شرعاً وإن کان بدعة لغة. (۱) وقال ابن حجر العسقلانی: ما أحدث ولیس له أصل فی الشرع یسمّی فی عرف الشرع بدعة، وما کان له أصل یـدلّ علیه الشـرع فلیس ببدعة. (۲) وقال أیضاً «البدعـة أصـلها ما أحـدث علی غیر مثال سابق، وتطلق فی الشـرع فی مقابل السـنة فتکون مذمومة.

والتحقیق أنها ان کانت ممّا تندرج تحت مسـتحسن فی الشرع فهی حسنة وان کانت ممّا تندرج تحت مستقبح فهی مستقبحة. وإلّا فمن قسم المباح. (۳) وعلی ضوء ذلک إن التمسح بما لم یمس جسده صلی الله علیه و آله و سلم له أصل فی‌الدین وأن‌المسلمین ینطلقون فی‌جوازذلک من مبدأین:

المبدأ الأوّل: مبدأ الحب والودّ والتعزیر والتکریم، إذ لا شکّ أن الشرع دعا إلی حب النبی وودّه وتکریمه وتعزیره.

قال سبحانه: «قُلْ إِنْ کَانَ آبَاؤُکُمْ وَأَبْنَاؤُکُمْ وَإِخْوَانُکُمْ

۱- جامع العلوم والحکم: ۲۸۹.

۲- فتح الباری: ۵/ ۱۵۸.

۳- فتح الباری: ۴/ ۲۵، کتاب صلاة التراویح، ذیل الحدیث برقم ۲۰۱۰.

ص: ۱۱۱

وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَايَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» (۱).

ویقول أیضاً فی مدح الذین یوقرون النبی صلی الله علیه و آله و سلم ویحترمونه:

«فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (۲).

روی البخاری عن أبی هریرة، أن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم قال: «فوالّذی نفسی بیده لا یؤمن أحدکم حتّی أکون أحبّ إلیه من والده وولده».

وروی عن أنس قال: قال النبی: «لا یؤمن أحدکم حتّی أکون أحبّ إلیه من والده وولده والناس أجمعین». (۳) وقد عقد مسلم باباً باسم: «باب وجوب محبة رسولاللَّه صلی الله علیه و آله و سلم» ونقل فی ذلک أحادیث عدة.

والروایات الحاثة علی حب النبی کثیرة اقتصرنا

۱- التوبة: ۲۴.

۲- الاعراف: ۱۵۷.

۳- صحیح البخاری، کتاب الإیمان، برقم ۱۴ و ۱۵.

ص: ۱۱۲

فیها بما ذکرنا ومن أراد التفصیل فلیرجع إلی جامع الأُصول. (۱)

مظاهر الحب فی الحیاهٔ

اشارهٔ

إن للحب مظاهر متعددهٔ فی الحیاهٔ، إذ لیس الحبّ شیئاً یستقر فی صقع النفس من دون أن یکون له انعکاس خارجی علی اعمال الإنسان وتصرفاته، بل إن من خصائص الحبّ أن یظهر أثره علی جسم الإنسان وملامح وجهه، وعلی قوله وفعله بصورهٔ مشهودهٔ وملموسهٔ، ومن مظاهره:

۱. الاتباع

إن حبّ الرسول الکریم لا ـ ینفک عن اتباع دینه والاستنان بسنّته والإتیان بأوامره والانتهاء عن نواهیه، ولا یعقل أبداً أن یکون المرء محبّاً للرسول أشدّ الحب، ومع ذلک فهو یخالفه ویرتکب ما یبغضه ولا یرضیه.
ویقول: «قُلْ إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْکُمُ اللَّهُ» (۲).

۱- جامع الأُصول: ۱/ ۲۳۹.

۲- آل عمران: ۳۱.

ص: ۱۱۳

۲. حبّ ما يمتّ إليه بصلهٔ

اشارهٔ

إن للحبّ مظاهر أُخرى غير الاتباع، في حياهٔ المحبوب وبعد مماته، اما في حياته فالمحبّ يزور محبوبه ويكرمه ويعظمه ويقضى حاجته ويدفع عنه كل مكروه، ويهيىء له ما يريحه.

فاذا توفى المحبوب، حزن عليه أشدّالحزن، وحفظ آثار، كما انّه يحترم ابناءه واقرباءه ودياره ومثواه وكل ما يمّتَ إليه بصلهٔ.

وعلى ضوء ذلك فمن يتمسح بالأبواب والجدران والشبابيك في حرم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم يُعد عمله هذا من مظاهر حبه لرسول اللَّه فلما لم يتمكن من أن يقبل الرسول ويتمسح به مباشرهٔ اتجه ليقبّل ويتمسّح بما يمتّ إليه بصلهٔ، وهذا أمر رائج بين العقلاء وداخل في حبّ النبي وتكريمه.

ولذلك نرى أنّه سبحانه يأمرنا برفع بيوت الأنبياء والأولياء ويقول: «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآْصَالِ» (۱).

۱- النور: ۳۶.

ص: ۱۱۴

وحيثما نزلت هذه الآيةً على قلب سيّد المرسلين وهو صلى الله عليه و آله و سلم فى المسجد الشريف، قام إليه رجل فقال: أىّ بيوت هـذه يا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم؟ قال: «بيوت الأنبياء»، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول اللَّه: أهذا البيت منها؟ مشيراً إلى بيت على وفاطمة عليهما السلام، قال: «نعم ومن أفاضلها». (۱) ومن الواضح أن تكريم هذه البيوت لا لأجل أن جسد النبى صلى الله عليه و آله و سلم أو الولى مس جميع اجزائها من الجدران والسقف وإنّما لأجل انتمائها إلى رجال جاء ذكرهم فى الآية التالية بقوله تعالى: «... يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ* رِجَالٌ لَاتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ» (۲).

فكلّ ما يمتُّ إلى أولياء اللَّه بصلة يكون دافع المسلم إلى لمسه وتقبيله هو حبّه لصاحبه ليس إلّا، فإظهار هذا الحب المكنون فى القلب ليس بدعة لأن له أصلًا فى القرآن.

المبدأ الثانى: ان الصحابة كانوا يتبركون بكل ما يمتُّ إلى النبى بصلة وإن لم يمس جسده ونذكر فى ذلك قليلًا من كثير حتّى يعلم أن تفريق الشيخ بين ما مسّ جسده ومالم يمسّه ليس له أصل شرعى بل هو اجتهاد خاطئ.

قال الذهبى بعد التصريح بمشروعية زيارة قبر

۱- الدر المنثور: ۶/ ۲۰۳؛ روح المعانى: ۱۸/ ۱۷۴.

۲- النور: ۳۶- ۳۷.

ص: ۱۱۵

النبی صلی الله علیه و آله و سلم: فواللَّه ما یحصل الانزعاج لمسلم، والصیاح وتقبیل الجدران وکثرة البکاء إلّاوهو محبّ للَّهوللرسول فحبّه المعیار والفارق بین أهل الجنة وأهل النار فزیارة قبره من أفضل القُرب. (۱)

۱. التبرک بقبر النبی صلی الله علیه و آله و سلم عند الجدب

إلیک بعض ما نقل:

۱. عن اوس بن عبداللَّه قال: قحط أهل المدینة قحطاً شدیداً فشکوا إلی عائشة فقالت: انظروا قبر النبی صلی الله علیه و آله و سلم فاجعلوا منه کوّة إلی السماء حتّی لا یکون بینه وبین السماء سقف. قال: ففعلوا فمطرنا مطراً حتّی نبت العشب وسمنت الأبل (۲).

وروی ابن تیمیة: أن عائشة کشفت عن قبر النبی لینزل المطر فانّه رحمة تنزل علی قبره. (۳) ومن المعلوم أن التراب الّذی واری قبره الشریف لم

۱- سیر أعلام النبلاء: ۴/ ۴۸۳- ۴۸۴، ترجمة الحسن بن الحسن بن علی بن أبی طالب، برقم ۱۸۵.

۲- السنن للدارمی: ۱/ ۴۳- ۴۴، وقال: اسناده صحیح؛ اقتضاء الصراط المستقیم: ۳۳۸ و انظر أیضاً: التعلیق السقاف: ص ۷۱

۳- اقتضاء الصراط المستقیم: ۳۳۸.

ص: ۱۱۶

یمس جسـد النبی الأکرم صـلی الله علیه و آله و سـلم ولم یظهر سوی ظاهر قبره للسـماء، فالتفصـیل بین ما مس جسـده، وما لم یمسه یضادّ هذا الأثر الذی روی بإسناد صحیح.

۲. التبرک بالمواضع الّتی صلّی فیها النبی صلی الله علیه و آله و سلم

عقد البخاری باباً باسم «باب المساجد الّتی علی طرق المدینة والمواضع الّتی صـلی فیها النبی صلی الله علیه و آله و سلم» ونقل فیه عن موسـی بن عقبـة، قال: رأیت سالم بن عبـداللّه(ابن عمر)- یتحری اماکن من الطریق فیصـلّی فیها ویحدّث أن أباه کان یصـلّی فیها وأنّه رأی النبی صـلی الله علیه و آله و سـلم یصلّی فی تلک الأمکنة ثم ذکر اسماء المساجد الّتی کان یصلّی فیها ابن عمر ثم ابنه سالم. (۱) وعندئذ نسأل الشـیخ: فما هو الوجه فی المواظبة علی الصـلاة فی مساجد صـلّی فیها النبی صـلی الله علیه و آله و سـلم؟ ولماذا کان ابن عمر یـداوم علی الصـلاة فیها؟ فهل کان جسد النبی مس عامّة اجزاء تلک المساجد؟ وهل بقیت الرمال والتراب علی حالها بعد مضـی سنین طویلة من رحیله صلی الله علیه و آله و سلم؟

۱- البخاری: ۱/ ۴۹۲، الحدیث ۴۸۳،(باب المساجد الّتی علی طرق المدینة).

ص: ۱۱۷

کل ذلک یدلّ علی أن التبرک بآثار الرسول صلی الله علیه و آله و سلم سواء مسّت جسده أو لا، أمر مشروع بین الصحابهٔ والتابعین.

۳. تبرک الصحابی بقبر الرسول صلی الله علیه و آله و سلم عند الزیارهٔ

أخرج الحاکم عن داود بن أبی صالح قال: أقبل مروان یوماً فوجد رجلًا واضعاً وجهه علی القبر فأخذ برقبته فقال: أتدری ما تصنع؟

قال: نعم.

فاقبل علیه فاذا هو أبی ایوب الأنصاری رضی الله عنه فقال:

جئت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم ولم آت الحجر، سمعت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم یقول: «لا تبکوا علی الدین، إذا ولیه أهله، ولکن ابکوا علیه إذا ولیه غیر أهله». (۱) قال الحاکم: هذا حدیث صحیح الاسناد ولم یخرّجاه.

وقد أقرّه الذهبی فی تلخیصه للحاکم، فقال: صحیح.

هذا عمل الصحابی العظیم أبو أیوب الانصاری رضی الله عنه فهو تبرک بوضع وجهه علی القبر اتّباعاً لسنهٔ الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله و سلم وصحبه فی التبرک کما تقدم.

وهذه فتوی الأموی طرید رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم، وابن

۱- المستدرک علی الصحیحین: ۴/ ۵۱۵؛ مسند أحمد ۵/ ۴۲۲؛ والسند فی المسند صحیح، رواه عن أبی عامر عبدالملک بن عمر العقدی عن کثیر بن زید عن داوود بن أبی صالح.

ص: ۱۱۸

طریـده المشـهورین ببغض البیت الهاشـمی الرفیع، والحاقـد المنـافق المتهاون بشأن النبی صـلی الله علیه و آله و سـلم یعترض علی أبی أیوب علی عمله المشـروع وهو یجابهه بقوله: نعم جئت رسول صـلی الله علیه و آله و سـلم الحی المرزوق عند ربّه بصـریح القرآن ثم یعقبه بما یسوؤه من قوله: سمعت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم ... تعریضا بما فیه من عدم الأهلیة والصلاحیة.

والذهبی یُعرف مروان بقوله «له اعمال موبقة نسأل اللَّه السلامة، رمی طلحة بسهم وفعل ما فعل (۱)».

۴. التبرک بمنبر النبی صلی الله علیه و آله و سلم

التبرک بمنبر النبی صـلی الله علیه و آله و سـلم کان أمراً رائجاً بین أصـحاب النبی صلی الله علیه و آله و سلم وقد أقرّه أحمد بن حنبل ففی کتاب «العلل»: سأل عبداللَّه أباه(أحمد بن حنبل) قال: سألته عن الرجل یمس منبر النبی صـلی الله علیه و آله و سلم ویتبرّک بمسه ویقبّله ویفعل بالقبر مثل ذلک أو نحو هـذا یریـد بـذلک التقرب إلی اللَّه جلّ وعز؟ فقال: لا بأس بذلک. (۲) وجاء فی عمدة القارئ: قال شیخنا زین الدین

۱- میزان الاعتدال: ۴ رقم الترجمة ۸۴۲۲.

۲- کتاب العلل ومعرفة الرجال: ۲/ ۴۹۲، الرقم ۳۲۴۳.

ص: ۱۱۹

أخبرنی الحافظ أبو سعید بن العلائی قال: رأیت فی کلام أحمد بن حنبل فی جزء قدیم علیه خطّ ابن ناصر وغیره من الحفاظ: إن الإمام أحمد سئل عن تقبیل قبر النبی صلی الله علیه و آله و سلم وتقبیل منبره فقال: لا بأس بذلک. (۱) قال: فأریناه للشیخ تقی الدین بن تیمیة فصار یتعجب من ذلک ویقول: عجبت، أحمد عندی جلیل یقوله [کذا] هذا کلامه أو معنی کلامه، وقال: وأی عجب فی ذلک وقد روینا عن الإمام أحمد انّه غسل قمیصاً للشافعی وشرب الماء الذیغسله به، وإذا کان هذا تعظیمه لأهل العلم فکیف بمقادیر الصحابة وکیف بآثار الأنبیاء علیهم الصلاة والسلام. (۲) والعجب أن ابن تیمیة أثبت ذلک فی «الجواب الباهر» (۳).

ومن المعلوم أن فتوی الإمام أحمد بجواز التبرک بمنبر النبی بالمس لیس إلّاعلی السیرة السائدة بین المسلمین

۱- عمدة القاریٔ: ۹/ ۲۴۱، کتاب الحج، باب ما ذکر فی الحجر الأسود.

۲- عمدة القاریٔ: ۹/ ۲۴۱؛ ابن الجوزی فی مناقب أحمد: ۴۵۵؛ تاریخ ابن کثیر: ۱۰/ ۳۳۱.

۳- الجواب الباهر لزوّار المقابر: ۳۱.

ص: ۱۲۰

حیث کـانوا یتبرکون بمنبر الرسول ویـدل علی ذلـک ما رواه أبو بکر بن أبی شـیبة عن زیـد بن الحباب، قال حـدثنی أبو مودود، قال: حدثنی یزید بن عبدالملک بن قسیط، قال:

رأیت نفراً من أصحـاب النبی صـلی الله علیه و آله و سـلم إذا خلاـ لهم المسـجد قاموا إلی رمّانـهٔ المنبر القرعاء فمسـحوها ودعوا، قال: ورأیت یزید یفعل ذلک، وهذا کان لما کان منبره الّذی لامس جسمه الشریف (۱).

فهل کان المنبر الّذی أفتی الإمام أحمد بمسّه والتبرک به هو نفسَ المنبرِ الموجود فی عصر الرسول صلی الله علیه و آله و سلم؟ أو أن حوادث الدهر بدّلته وجاءت بغیره مکانه؟

والعجب أن محقّق کتاب «العلل ومعرفهٔ الرجال» لمّا وقف علی النص الأوّل من إمامه أحمد ورأی أن ذلک لا یوافق رأیه أخذ بتأویله وقال: وهذاکان لما کان منبره الّذی لامس جسـمه الشریف، وامّا الآن بعد ما تغیّر، لا یقال بمشروعیهٔ مسّه تبرکاً به. (۲) وکأنّ القوم لما فوجئوا بهذا الکم الهائل من الأحادیث الدالّهٔ علی التبرک بآثار النبی من غیر فرق بین مس جسده

۱- المصنف: ۲/ ۱۴۳۵ برقم ۱۵۸۷۶.

۲- العلل ومعرفهٔ الرجال: ۲/ ۴۹۲، التعلیقهٔ.

ص: ۱۲۱

الشريف وغيره أخـذوا بالتأويل والتفصـيل بين ما مس جسـده وغيره، فهـدموا ما بنوه فى مجال التوحيد حيث قالوا بأن مقتضـى توحيد الربوبيهٔ خلع الأشياء عن التأثير، ذاتياً وتبعيّا.

۵. تبرک ريحانهٔ الرسول بقبر أبيها

ذكر جمع من المؤرخين أن فاطمهٔ الزهراء سيدهٔ نساء العالمين عليها السـلام حضرت عند قبر أبيها وأخذت قبضهٔ من تراب القبر تشمه وتبكى قائلهٔ:

ماذا على من شم تربهٔ أحمد ألّا يشمّ مدى الزمان غواليا؟

صبّت عليّ مصائب لو أنها صبّت على الأيام صرن لياليا (۱)

إن عمل السيدهٔ الزهراء المعصومهٔ هذا لا يدلّ إلّاعلى جواز التبرّك بقبر رسول اللَّه وتربته الطاهرهٔ.

۱- رواه غير واحد من المؤرخين والمترجمين. لاحظ: القسـطلانى، ارشاد السارى: ۲/ ۳۹۰؛ والسمهودى فى وفاء الوفاء: ۲/ ۴۴۴. ونقله أيضاً فى ج ۴/ ۱۴۰۵ عن تحفهٔ ابن عساكر.

ص: ۱۲۲

۶. تبرّک الشیخین بتربهٔ قبره

اشارهٔ

لقد استأذن الشیخان بالدفن فی حجرهٔ النبی الأکرم صلی الله علیه و آله و سلم لیصبحا ضجیعیه فی قبره الشریف، فهل النقطهٔ الّتی دفن فیها کل من الشیخین مست جسد النبی صلی الله علیه و آله و سلم، أو أن الشیخین اکتفیا بالانتماء بالقرب من النبی صلی الله علیه و آله و سلم؟

وهذا أمر معروف فی التاریخ ومشهود لکل عارف لایحتاج إلی ذکر مصدر. (۱) إلی هنا تبیّن أنّه لا ـ فرق فی التبرک بآثار النبی فی کل ما ینتمی إلیه ویمّت إلیه بصلهٔ من غیر فرق بین ما مسّ جسده الشریف وبین غیره، وهلم معی إلی دراسهٔ بقیهٔ کلامه.

استلام الحجر الأسود

قال الشیخ: والأحادیث فی ذلک کثیرهٔ، فالواجب علی المسلمین التقید فی ذلک بما شرعه اللَّه کاستلام الحجر الأسود وتقبیله،

۱- نکفتی بالقلیل عن الکثیر ومنه، صحیح البخاری، کتاب الاعتصام بالکتاب والسنّهٔ، برقم ۷۳۲۸.

ص: ۱۲۳

واستلام الرکن الیمانی، فلهذا صحّ عن عمر بن الخطاب أنّه قال لمّا قبل الحجر الأسود: انی اعلم أنک حجر لا تضّر ولاتنفع ولولا انی رأیت النبی صلی الله علیه و آله و سلم یقبلّک ما قبلتک. (۱) وبذلک یعلم أن استلام بقیهٔ ارکان الکعبهٔ، وبقیهٔ الجدران والأعمدهٔ غیر مشروع لأن النبی صلی الله علیه و آله و سلم لم یفعله ولم یرشد إلیه، ولأن ذلک من وسائل التبرک، وهکذا الجدران والأعمدهٔ والشبابیک وجدران الحجرهٔ النبویهٔ من باب أولی، لأن النبی صلی الله علیه و آله و سلم لم یشرع ذلک ولم یرشد إلیه ولم یفعله أصحابه.

یلاحظ علیه: أن ما نقل عن عمر بن الخطاب، وإن کان مشهوراً لکن المظنون أنّه نقل مبتوراً، وقد روی عن أئمهٔ أهل البیت علیهم السلام أنّه بعدما قال عمر بن الخطاب ما قال، قال أمیر المؤمنین علی علیه السلام: کیف یابن الخطاب فواللَّه لیبعثّه یوم القیامهٔ وله لسان وشفتان فیشهد لمن وافاه، وهو عین اللَّه عزّوجل فی أرضه یُبایع بها خلقُه،

۱- صحیح مسلم: ۳/ ۱۳۴۳/ ۱۷۱۸.

ص: ۱۲۴

فقال عمر: لا أبقانا اللّه فی بلد لا یکون فیه علی بن أبی طالب. (۱) وجاء فی(عمدهٔ القارئ) بعد کلام عمر: قال علیٌّ رضی الله عنه: انّه یضرّ وینفع .. إلی أن قال: وانی أشهد لسمعت رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم یقول: یؤتی یوم القیامهٔ بالحجر الأسود وله لسان زلق یشهد لمن استلمه بالتوحید فهو یا أمیر المؤمنین یضر وینفع، فقال عمر: اعوذ باللّه من قوم لیس فیهم أبو الحسن.

ونقل عن ابن‌عباس ان هذا الرکن الاسود هو یمین‌اللّه فی الأرض یصافح به عباده مصافحهٔ الرجل أخاه. (۲) ولا ـ بأس فیما روی لأنّه سبحانه یُنطقه کما انّه یُنطق کل الأشیاء ویُنطق جوارحنا علی اعمالنا. قال سبحانه:

«وَ قَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الذِی

۱- الصدوق: علل الشرائع: ۴۲۶. والمستدرک للحاکم: ۱ / ۴۵۸، کتاب المناسک وضعفه الذهبیّ فی تلخیصه لوقوع أبی هارون العبدی فی سنده وتبعه ابن حجر فی فتح الباری: ۳/ ۴۶۳، والعینی فی عمدهٔ القارئ: ۹/ ۲۴۰. ولیس له أی ذنب سوی کونه شیعیّاً مع ان الذهبی نفسه قال فی ترجمهٔ ابان بن تغلب الشیعی: لو ردّ حدیث هؤلاء(الشیعهٔ) لذهب جملهٔ من الآثار النبویّهٔ وهذه مفسدهٔ بیّنهٔ. میزان الاعتدال: ۱/ ۵.

۲- عمدهٔالقارئ: ۹/ ۲۴۰.

ص: ۱۲۵

أَنْطَقَ کُلَّ شَیءٍ» (۱).

وقد روی معاویهٔ بن عمّار عن الإمام الصادق علیه السلام:

«إذا دنوتَ من الحجر الأسود، فارفع یدیک وأحمد اللَّه وأثن علیه وصلّ علی النبی صلی الله علیه و آله و سلم واسأل اللَّه أن یتقبل منک، ثم استلم الحجر وقبّله فان لم تستطع أن تقبله فاستلمه بیدک، فإن لم تستطع أن تستلمه بیدک فأشر إلیه، وقل: «اللهم أمانتی أدّیتها ومیثاقی تعاهدتهُ، لتشهد لی بالموافاهٔ، اللهم تصدیقاً بکتابک وعلی سنهٔ نبیک، أشهد ان لا إله إلّااللَّه وحده لا شریک له، وأن محمداً عبده ورسوله آمنت باللَّه، وکفرت بالجبت والطاغوت وباللات والعزّی وعبادهٔ الشیطان وعبادهٔ کل ندّ یُدعی من دون اللَّه» (۲).

ثم إن فی کلام عمر بن الخطاب دلیلًا واضحاً علی أن من مسح وتبرک بشیء من دون أن یعتقد تأثیر الممسوح والمستلم فیه أمر جائز، وأنّ من فعل ذلک لا یرمی بالشرک ولا بالبدعهٔ إذا لم ینسبه إلی الدین، ولذلک فإن عمر بن الخطاب قبّل الحجر الأسود معتقداً بأنّه لا ینفع ولا یضرّ إلّا باذن اللَّه.

۱- فصلت: ۲۱.

۲- التهذیب للطوسی: ۵/ ۱۰۱/ ۳۲۹.

ص: ۱۲۶

وامّا تبریر عمله بفعل النبی لأجل أنّه استلم الحجر بما أنّه أحد آداب الزیارهٔ، فلم یجد بداً من ان یذکر دلیلًا لما أتی به مع العلم بأنّه لا ینفع ولا یضرّ فقال: لولا أنی رأیت أن رسول اللّه قبلک ما قبلتک.

فعلی ضوء هـذا فلیس لأحـد أن یمنع احـداً من تقبیل الجـدران والشـبابیک والأبواب للحجرهٔ النبویهٔ إذا لم یعتقد فیمایقبله أی نفع ولا ضرر ولم یجعل عمله جزءاً من الـدین ولم ینسـبه إلی النبی وإنّما دفع إلیه حبُّه وشوقُه لصاحب هذا المقام، أو ان یمنع من اسـتلام بقیهٔ أرکـان الکعبـهٔ إذا لم یکن بـدافع أنها تضـر وتنفع ولا أن ذلک جزء من الـدین والشـریعهٔ بل کان الـدافع حبّه لهـذه المواقع والمشاهد المبارکهٔ بما أنها مطاف الملائکهٔ ومحلّ نزول الرحمهٔ.

علی انَّ اسـتلام سـائر الارکـان مختلف فیه بین الصـحابهٔ قال ابن حجر «روی ابن المنـذر وغیره اسـتلام جمیع الارکان عن جابر وانس، والحسن والحسین من الصحابهٔ وعن سوید بن أبی غفلهٔ من التابعین (۱).

۱- لاحظ فتح الباری: ۳/ ۴۶۲ برقم ۱۵۹۷، و ص ۴۷۳ برقم ۱۶۰۸؛ و عمدهٔ القاری: ۹/ ۲۴۱.

ص: ۱۲۷

۳. عبداللَّه بن عمر وتتبع آثار النبی صلی الله علیه و آله و سلم

قال الشیخ: واما ما نقل عن ابن عمر من تتبع آثار النبی صلی الله علیه و آله و سلم واستلامه المنبر فهذا اجتهاد منه لم یوافقه علیه أبوه ولا غیره من أصحاب النبی، وهم أعلم بهذا الأمر وعملهم موافق لما دلّت علیه الأحادیث الصحیحهٔ، وقد قطع عمر الشجرهٔ الّتی بویع تحتها النبی صلی الله علیه و آله و سلم فی الحدیبیهٔ لما بلغه أن بعض الناس یذهبون إلیها ویصلون عندها خوفاً من الفتنهٔ بها وسداً للذریعهٔ.

إن کلامه هذا یشتمل علی أمرین:

۱. إن عبداللَّه بن عمر هو الوحید فی تتبع آثار النبی صلی الله علیه و آله و سلم والمنبر الّذی جلس علیه وأنّه لم یوافقه علیه أبوه ولاغیره من أصحاب النبی صلی الله علیه و آله و سلم.

۲. إن عمر بن الخطاب لمّا بلغه أن بعض الناس یذهبون إلی الشجرهٔ قطعها.

وإلیک الکلام فی الأمر الأوّل:

یلاحظ علیه أوّلًا: اذاکان التبرک بما مس جسد النبی أمراً مشروعاً وجائزاً ودارجاً بین الصحابهٔ لم یکن عمل ابن عمر خارجاً عن هذه القاعدهٔ حیث کان یقتصّ آثار النبی

ص: ۱۲۸

ویتتبّع ما مس جسده الشریف کالمساجد الّتی صلّی فیها واستلام المنبر وغیر ذلک، فبذلک ظهر ما فی قول الشیخ:

«فهـذا اجتهـاد منه لم یوافقه علیه أبوه ولاـغیره من أصـحاب النبی وهم أعلم بهـذا الأـمر». فـان عمله کان علی اساس رصـین دارج بین الصـحابة حیث کانوا یتبرّکون بما مس جسده الشـریف، وکان عبداللّه بن عمر فی غنی عن موافقة أبیه ولا موافقة غیره إذا کانت سیرة جمهرة الصحابة مصدِّقة لعمله.

وثانیاً: نفترض أنّ عمله کان خارجاً عن تلک القاعـدة فما هو المبرّر فی تقـدیم اجتهاد الوالـد علی الولـد مع انهما مجتهدان للمصـیب اجران وللمخطئ اجر واحد.

وثالثاً: لو کان عمل ابن عمر بدعة أو شـرکاً اوذریعة للشـرک کان علی الصحابة أن یمنعوهُ وینصّوا علی ذلک أو یبدوا مخالفتهم، ولم یرد فی ذلک أی ردّ ولا نقد ولا منع، بل کان سکوتهم تقریراً لعمله ومع ذلک کیف یقول الشیخ: لم یوافقه علیه أحدٌ.

هذا کان حول الأمر الأوّل، وإلیک الکلام فی الأمر الثانی.

ص: ۱۲۹

قصهٔ قطع الشجرهٔ

اما ما ذکره من أن عمر بن الخطاب لما بلغه أن بعض الناس یذهبون إلیها ویصلون عندها قطعها خوفاً من الفتنهٔ بهاوسدّاً للذریعهٔ، ففیه مجال للبحث والنقاش.

أما أوّلًا: فقد نقل هذه القصهٔ ابن سعد فی طبقاته فی احداث غزوهٔ الحدیبیهٔ عن نافع قال: کان الناس یأتون الشجرهٔ الّتی یقال لها شجرهٔ الرضوان فیصلون عندها، قال:

فبلغ ذلک عمر بن الخطاب فأوعدهم فیها وأمر بها فقطعت. (۱) یلاحظ علیه:

أوّلًا: ان السند منقطع ولم یسنده نافع إلی شیخ من مشایخه فلایحتج بالسند المقطوع.

وثانیاً: أن هناک دلائل واضحهٔ علی أن الشجرهٔ صارت مجهولهٔ لأصحاب الرسول صلی الله علیه و آله و سلم فی العام التالی فکیف یمکن أن تعرف فی عهد عمر حتّی یأتی الناس إلیها ویصلون تحتها حتّی یأمر بقطعها، ویدل علی ذلک أمران:

۱. ما رواه البخاری قال: قال ابن عمر: رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان علی الشجرهٔ الّتی بایعنا

۱- الطبقات الکبری: ۲/ ۱۰۰، ط دار صادر.

ص: ١٣٠

تحتهـا، كانت رحمـة من اللَّه، فسألت نافعاً على أى شـىء بايعهم؟ على الموت؟ قال: لا، بايعهم على الصبر. (١) وقدعلل ابن حجر فى فتـح البـارى خفاء الشـجرة بقوله: ان الحكمـة فى ذلك لا يحصل بها افتتان ثم قال: وإلى ذلك اشار ابن عمر بقوله: «كانت رحمـة من اللَّه».

ثم قال: ويحتمل ان يكون معنى قوله: «رحمة من اللَّه» أى كانت الشجرة موضع رحمة ومحل رضوانه لنزول الرضا على المؤمنين عندها .(٢)

أقول: انالتفسير الثانى هوالصحيحوذلك لتأنيث الفعل فالضمير(ت) فى «كانت» يرجع إلى الشجرة لا إلى الخفاء.

وعلى كل تقدير فالحديث يدل على خفاء الشجرة فى العام التالى.

٢. ان ابن سـعد ينقل أيضاً نفس هذا الموضوع ويذكر استنكار سعيد قول من إدعى بقاءها وتعرفه عليها. فروى عن طارق قال: انطلقت حاجاً فمررت بقوم يصلّون فقلت:

ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع النبى صلى الله عليه و آله و سلم، بيعة الرضوان؛ فأتيت سعيد بن المسيّب فاخبرته، فقال:

١- البخارى: رقم الحديث ٢٩٥٨، طبع دار الفكر.

٢- فتح البارى: ۶/ ٨٩، طبع دار إحياء التراث.

ص: ۱۳۱

حدّثنی أبی أنّه کان فی من بایع رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم تحت الشجرة، فقال: فلما خرجنا من العام المقبل نسیناها فلم نقدر علیها. قال سعید: إن کان أصحاب محمد لم یعلموها وعلمتموها أنتم فأنتم أعلم. (۱) فقوله: «إن کان أصحاب محمد لم یعلموها ...» استنکار لادعائهم، فإذا کان أصحاب رسول اللَّه غیر عارفین بها، فالأولی أن یکون المتأخرون غیر عارفین بها.

ان هذه الروایات تدلّ علی أن جمعا من الصحابة والتابعین کانوا یأتون الشجرة، ویحسبون أنها هی الشجرة الّتی تمت البیعة تحتها فیتبرکون بها ولم یمنعهم سائر الصحابة ولا غیرهم فیدل علی جواز التبرک بما لم یُمسّه جسده الشریف.

وکفانا فی المقام عن استرسال الکلام ما حقّقه الأُستاذ حسن السقاف فی مقاله فراجعه.

التوسل بالأنبیاء والأولیاء

اشارة

قال الشیخ: واما دعاء الأنبیاء والأولیاء والاستغاثة بهم والنذر لهم ونحو ذلک فهو الشرک

۱- الطبقات الکبری ابن سعد: ۲/ ۹۹. ط دار صادر.

ص: ۱۳۲

الأكبر، وهو الّذى كان يفعله كفار قريش مع أصنامهم وأوثانهم، وهكذا بقية المشركين يقصدون بذلك أنها تشفع لهم عنداللّه، وتقربهم إليه زلفى، ولم يعتقدوا أنها هى الّتى تقضى حاجاتهم وتشفى مرضاهم وتنصرهم على عدوهم كما بيّن اللّه سبحانه ذلك عنهم فى قوله سبحانه: «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَايَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ» (۱)

فرد عليهم سبحانه بقوله: «قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِی السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِی الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَی عَمَّا يُشْرِكُونَ» (۲)

.

وقال عزوجل فى سورة الزمر: «فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ* أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَی اللَّهِ زُلْفَی إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِی مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَايَهْدِی مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ» (۳)

۱- يونس: ۱۸.

۲- يونس: ۱۸.

۳- الزمر: ۲- ۳.

ص: ۱۳۳

فأبان سبحانه فی هذه الآیة الکریمة: أنّ الکفار لم یقصدوا من آلهتهم أنهم یشفون مرضاهم، أو یقضون حوائجهم وإنّما أرادوا منهم أنهم یقربونهم إلی اللّه زلفی، فأکذبهم سبحانه وردّ علیهم قولهم بقوله سبحانه: «إِنَّ اللَّهَ لَایَهْدِی مَنْ هُوَ کَاذِبٌ کَفَّارٌ» فسماهم کذبهٔ وکفاراً بهذا الأمر.

انتهی.

أقول: ما ذکره الشیخ فی المقام قد سمعنا مثله من کافهٔ من سلک مسلک ابن تیمیهٔ ویعتقد منهج تلمیذه ابن عبدالوهاب. فهم جمیعاً یستدلون بهذه الآیات علی أن دعاء الأنبیاء والأولیاء عبادهٔ لهم نظیر دعاء المشرکین الهتهم المزعومهٔ حیث کان دعاؤهم لها عبادهٔ لهم.

وهذا هو بیت القصید ومفترق الطرق بین منهج أحمد بن تیمیهٔ ومنهج الآخرین.

ولو بُذلت الجهود فی تنقیح الأمرین التالیین لقصرت الفاصلهٔ بین المنهجین، ولکن مع الاسف ان الشیء الّذی لم یرکزوا علیه منذ أن ظهر هذا المنهج فی القرن الثامن إلی

ص: ۱۳۴

يومنا هذا، هو ما سنذكره فى التالى:

۱. تعريف العبادة وتحديد معناها.

۲. عرض التمسح والتوسل على الضابطة.

۳. عقيدة المشركين فى دور معبوداتهم فى قضاء الحوائج.

ولو أُقيم مؤتمر حول هذه الأُمور على نحو يميز الإنسان بين العبادة والتكريم ويتبين مبادئ الدعاء بين الفريقين لسقط عامة ما يستدلون به من الآيات على أن دعوى الأنبياء والأولياء والتوسل بهم شرك وبدعة، وعلى ضوء ذلك فسنركز جهدنا فى شرح كلا هذين الأمرين، مبتدئين بالمورد الأوّل:

۱. تعريف العبادة وتحديد معناها

ان أصحاب المعاجم وان فسروا العبادة بالخضوع والتذلل أو الطاعة (۱). لكن تفسيرها بها تفسير بالأعم وليس تعريفاً دقيقاً جامعاً مانعاً، بشهادة ان القرآن الكريم يحث بصراحة على الخضوع للوالدين أوّلًا، ويقول سبحانه:

«وَاخْفِضْ لَهُمَا جُنَاحُ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ» (۲)

، ويأمر الملائكة

۱- لسان العرب؛ مفردات الراغب؛ القاموس المحيط؛ مقاييس اللغة: مادة «عبد».

۲- الاسراء: ۲۴.

ص: ١٣٥

بالسجود لآدم، ثانياً، ويقول: «وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا» (١)

، ويحكى عن أن نبى اللّه يعقوب وزوجته واولادهما سجدوا ليوسف، ثالثاً، ويقول سبحانه: «وَ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا» (٢)

، فالسجود من أعلى مظاهر الخضوع ومنتهاه مع أنّه لم يكن عبادة لآدم ولا ليوسف.

ومن المعلوم أن السجود لو كان عبادة للمسجود له فلا يخرج عن كونه عبادة بأمره سبحانه، فالعبادة عبادة سواء أمر بها أو لم يؤمر.

كل ذلك يدفعنا إلى تعريف العبادة تعريفاً دقيقاً حتّى تخرج هذه الموارد من تحتها.

فنقول: إن العبادة تتقوم بعنصرين ولا يغنى احدهما عن الآخر:

الأوّل: الاعتقاد الخاص فى حق المعبود، أعنى

١- البقرة: ٣۴.

٢- يوسف: ١٠٠.

ص: ۱۳۶

الاعتقاد بأنّه رب اوبیده مصیر العابد عاجلًا وآجلًا فی تمام شؤون الحیاة أو بعضها، فلو کان الخضوع والتذلل مجرّداً عن هذا الاعتقاد لا یُعدّ العمل عبادة.

نعم یمکن أن یکون حراماً موجباً للعقاب لا لأنه عبادة، بل لکونه عملًا محرماً کسائر المحرمات کما هو الحال فی السجود فی الشریعة الإسلامیة لغیر اللَّه إذ انّه یحرم حتّی وان کان عاریاً عن ذلک الاعتقاد، للنهی عنه لغیره سبحانه.

الثانی: العمل الحاکی عن الخضوع، ویکفی فی ذلک ابسط الخضوع إلی اعلاه سواء أکان باللفظ والبیان أم بسائر الجوارح.

فإذا کان الخضوع نابعاً عن الاعتقاد الخاص فی حق المخضوع له یوصف العمل بالعبادة.

اما العنصر الثانی فلم یختلف فی وجوده اثنان، إنما الکلام فی مدخلیة العنصر الأوّل فی صدق العبادة ودخوله فی واقعها، وهذا یُعلم من دراسة عبادة الموحدین والمشرکین.

لم یکن الموحّد والمشرک منفکَّیْن- فی عبادتهما- عن اعتقاد خاص لمعبودهم، وهو الّذی کان یدفعهم إلی الخضوع والتذلل، ولولاه لما سجدوا وما خضعوا وما تذلّلوا.

کانوا یرون أن العزة والذلة والنصرة والهزیمة وما یفید وما یضر الإنسان فی حیاته بید معبوداتهم.

غیر أن الموحّد کان یؤمن بأن هذه الأُمور بید اللَّه

ص: ۱۳۷

تعالى الّذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى، ولكن المشرك يعتقد بأن هذه الأُمور فوّضت إلى آلهتهم المزعومة. وهذا ما تشرحه لنا الآيات التالية.

۱. الموحد يعبد اللّه سبحانه لان العزة والذلة بيده سبحانه قال تعالى: «فَللهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً» (۱).

ويقول: «وَ تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ» (۲).

واما المشرك فهو يعبد الآلهة المزعومة باعتقاد أن العزة بيدها كما يحكى عنهم سبحانه ويقول: «وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا» (۳).

۲. الموحد يعبد اللّه سبحانه لان النصر بيد اللّه سبحانه كما يقول تعالى: «وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيم» (۴).

واما المشرك فهو يعبد الاصنام منطلقاً من أن النصر بيدهم كما يحكيه سبحانه ويقول: «وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ» (۵).

۱- فاطر: ۱۰.

۲- آل عمران: ۲۶.

۳- مريم: ۸۱.

۴- آل عمران: ۱۲۶.

۵- يس: ۷۴.

ص: ۱۳۸

۳. ان الموحد يعبد اللّه سبحانه منطلقاً من ان الشفاعة بيد اللّه سبحانه وانّه لا يشفع احد إلّابأذنه.

قال سبحانه: «قُلْ لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ» (۱).

ولكن المشرك يعتقد بأن الالهة المزعومة تملك الشفاعة وانهم يشفعون لعبدتهم، ولذلك يرد سبحانه على عقيدتهم بأنّه: «مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ» (۲).

۴. انّ الموحد يعبد اللّه سبحانه بحجة ان مصدر النعم والنقم هو اللّه سبحانه، وهذا هو منطق الموحد الّذى يحكيه سبحانه عن النبى إبراهيم الخليل عليه السلام: «الـذِى خَلَقَنى فَهُوَ يَهْدِينِ* وَالـذِى هُوَ يُطْعِمُنى وَيَسْقِينِ* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ* وَالـذِى يُمِيتُنى ثُمَّ يُحْيِينِ* وَالذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ» (۳).

ان إبراهيم عليه السلام- بطل التوحيد- ينسب إلى اللّه الواحد

۱- الزمر: ۴۴.

۲- يونس: ۳.

۳- الشعراء: ۷۸- ۸۲.

ص: ۱۳۹

الأحد الأفعال التالیة: الهدایة، الإطعام والسقی، الشفاء من المرض، الموت والحیاة، وغفران الذنوب. وبما أنّه علیه السلام فی مقام الرد علی مشرکی عصره فی مدینة(بابل) یظهر لنا وبجلاء- من خلال عنصر المقابلة- أنّهم کانوا یعتقدون أن تلک الأفعال والنعم بید آلهتهم الباطلة، إذ بإمکانها أن تهدیهم وتطعمهم وتسقیهم وتشفیهم من الأمراض وتمیتهم وتحییهم و ... ومن هنا خضعوا لها وعبدوها.

۵. ان الموحد یعتقد بأنّه لیس للّهسبحانه ند ولا- مثل لا فی الذات ولا فی الصفات ولا فی الافعال، وان الأنبیاء والأولیاء عباد للّهلا یملکون لانفسهم ضراً ولا- نفعاً ولا حیاة ولا موتاً غیر انّه سبحانه أکرمهم واعزهم وجعل لکل منهم مقاماً معلوماً یستجاب دعاؤهم، وتنزل الرحمة بطلبهم.

واما المشرک فهویعتقد بان الاصنام والاوثان انداد للّه سبحانه، قال سبحانه: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ» (۱)

والانداد لغة جمع «ند» بمعنی المثل والنظیر، بمعنی أنهم یعتقدون أنّ الهتهم تناظر اللّه وتشابهه فی القدرة علی القیام بالأفعال الّتی یقوم بها سبحانه من الاحیاء والاماتة والرزق والشفاء والهدایة وغفران الذنوب وحطّ الخطایا.

۱- البقرة: ۱۶۵.

ص: ۱۴۰

۶. ان الموحد یعتقد بأن اللّه سبحانه لا یماثله ولا یساویه ولا یدانیه شیءٌ من المخلوقات. اخذاً بقوله:

«لَیسَ کَمِثْلِهِ شَیءٍ وَهُوَ السَّمِیعُ الْبَصِیرُ» (۱)

وقوله تعالی:

«لَهُ مَقَالِیدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ یَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ یَشَاءُ وَیَقْدِرُ إِنَّهُ بِکُلِّ شَیءْ عَلِیمٌ» (۲).

أمّا المشرک فهو یعبد الاصنام وینطلق من عقیدة خاصة فیها وهی التسویة بینه سبحانه وبین الآلهة، ولما یتبین له جهله وبطلان عقیدته فسوف یظهر الندامة ویندد بآلهته ویخاطبهم یوم القیامة بقوله: «قَالُوا وَ هُمْ فِیهَا یَخْتَصِمُونَ* تَاللَّهِ إِنْ کُنَّا لَفِی ضَلَالٍ مُبِینٍ* إِذْ نُسَوِّیکُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِینَ» (۳).

فالمراد من التسویة هی التسویة فی الربوبیة وتدبیر العالم والشفاعة وغیرها وحتّی ولو فُسّرت بالمساواة فی العبادة فهو یلازم عقیدة خاصة فی حق الاصنام وهی صفات الالوهیة إذ لا یعبد إنسان شیئاً إلّالمن یعتقد استحقاقه لها بشیء من الأُمور الغیبیة.

۱- الشوری: ۱۱.

۲- الشوری: ۱۲.

۳- الشعراء: ۹۶- ۹۸.

ص: ١٤١

فالآية تنادى: أنهم كانوا يعتقدون فيها ضرباً من المساواة للحق تعالى عما يقولون.

فالموحد والمشرك وان كانا يصدران عن مبدأين مختلفين ولكن الجميع يشهد بأن العبادة لا تنفك إلّاعن عقيدة خاصة بالنسبة إلى المعبود غير أن تلك الخصيصة عند الموحد للّهسبحانه ولكنها لدى المشركين فى آلهتهم وأصنامهم وأوثانهم.

وعند ذلك نخرج بالنتيجة التالية بأن مقوم العبادة أمران وان لها عنصرين أحدهما يتقوم باعمال العابد وفعله والثانى يرتبط باعتقاده ومنطلقه.

وعلى ضوء ذلك فلو اردنا ان نعرّف العبادة تعريفاً جامعاً فلنا أن نقول: العبادة هى الخضوع بين يدى من يعتبره رباً. أى مالكاً لمصير العابد فى الدنيا والآخرة. فإذا اعتقد إنسان بربوبية المخضوع له فما يصدر عنه من الخضوع لفظاً وعملًا فهوعبادة، ولذلك نرى ان المسيح عليه السلام عندما يأمر بعبادة اللّه سبحانه يعلقها بعنوان الربوبية، كما حكاه عنه: «وَ قَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ» (١).

١- المائدة: ٧٢.

ص: ۱۴۲

وقال سبحانه: «إِنَّ اللهَ رَبِّی وَ رَبُّکُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِیمٌ» (۱).

وربّما یعتبر القرآن العبادة من شؤون الخالقیة قال سبحانه: «ذَلِکُمُ اللهُ رَبُّکُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ کُلِّ شَیءْ فَاعْبُدُوهُ» (۲).

فلو کـان الخضوع نابعاً عن تلک العقیـدة فهوعبادة للمخضوع له وإن لم یبلغ غایته. واما إذا کان نابعاً عن غیر تلک العقیـدة مثلًا بما انّه عالم خادم للأُمة فلا یعد عبادة وأن لم یبلغ غایته، ولنفسر ذلک بالمثال التالی:

انظر إلی نفسک فانّه قد یقضـی علیک أدبک مع أبیک و احترامک له أن لا تسـمح لنفسک بالجلوس أو الاضطجاع بین یدیه، فتقف أو تقعـد ساعة أو فوقها، و لا یکون ذلک منک عبادة له، لماذا؟ لأنّه لم یقارن هذا الفعل منک اعتقاد شـیء من خصائص الربوبیة فیه. و تقف فی الصلاة قدر الفاتحة و تجلس فیها قدر التشهد و هو قدر دقیقة أو

۱- آل عمران: ۵۱.

۲- الانعام: ۱۰۲.

ص: ۱۴۳

دقیقتین فیکون ذلک منک عبادة لمن صلّیتَ له، و سرّ ذلک هو أنّ هذا الخضوع المتمثل فی قیامک و قعودک یقارنه اعتقادک الربوبیة لمن خضعتَ له عزّوجل.

وتدعو رئیسک فی عمل من الأعمال أو أمیرک أن ینصرک علی باغ علیک أو یغنیک من أزمة نزلت بک و أنت معتقد فیه انّه لا یستقل بجلب نفع أو دفع ضر، و لکن اللَّه جعله سبباً فی مجری العادة یقضی علی یدیه من ذلک ما یشاء تفضلًا منه سبحانه، فلا یکون ذلک منک عبادة لهذا المدعوّ، و أنت علی ما وصفنا، فإن دعوتَه و أنت تعتقد فیه أنّه مستقل بالنفع، أو الضرّ، أو نافذ المشیئة مع اللَّه لا محالة، کنت له بذلک الدعاء عابداً، وبهذه العبادة أشرکته مع اللَّه عزّوجلّ، لأنّک قد اعتقدت فیه خصیصة من خصائص الربوبیة، فانّ الاستقلال بالجلب أو الدفع و نفوذ المشیئة لا محالة هو من خصائص الربوبیة، والمشرکون إنّما کفروا بسجودهم لأصنامهم و نحوه لاعتقادهم فیها الاستقلال بالنفع، أو الضرّ ونفوذ مشیئتهم لا محالة مع اللَّه تعالی، و لو علی سبیل الشفاعة عنده، فانّهم یعتبرونه الربّ الأکبر ولمعبوداتهم ربوبیة دون ربوبیته، و بمقتضی ما لهم من الربوبیة وجب لهم نفوذ المشیئة معه لا محالة.

وبالامعان فیما ذکرنا یتبین لک صدق أمرین:

الأوّل: ان العنصر المهم فی صدق العبادة هو الاعتقاد

ص: ١۴۴

بأن المخضوع له يتمتع بقدرة غيبية وراء القدرة العادية الموجودة فى عامة الناس والّتى يقوم بها بقضاء حاجة من يعبده. وقد عرفت أن الفريقين الموحدين والمشركين كانا متفقين على ذلك، وان كانا مختلفين فيمن يتمتع بهذه القدرة.

الثانى: ان الاعتقاد بالقدرة الغيبية فى المعبود هو عبارة أُخرى عن الاعتقاد بكونه ربّاً بيده مصير العابد إما فى كل الأُمور كما هو الحال فى عقيدة المؤمن باللَّه سبحانه، أو فى بعض الأُمور كالاعزاز والاذلال والنصر والخذلان والشفاعة ومغفرة الذنوب وغير ذلك من الأُمور كما هو الحال فى عقيدة المشرك، فكان العابد على الاطلاق ينطلق من الاعتقاد بربوبية المعبود.

ويؤيد ذلك ان سيدنا المسيح يدعو بنى إسرائيل إلى عبادة اللَّه سبحانه ويقول: «يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّى وَ رَبَّكُمْ» (١)

، وفى آية أُخرى: «إِنَّ اللهَ رَبِّى وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» (٢)

نرى أنّه- صلوات اللَّه عليه- يعلق الحكم على عنوان الرب فى كلتا الآيتين، وهو يدلّ على أن الموحدين والمشركين متفقون فى هذا الأصل

١- المائدة: ٧٢.

٢- آل عمران: ٥١.

ص: ۱۴۵

وهو أن العبـادة من شؤون الربوبيـة فمن كـان ربـاً فهو مسـتحق للعبـادة دون غيره، لكن المشـرك خـاطئ في الصـغرى أي في الاعتقاد بربوبيـة معبوداته، ولـذلك نرى يوسف يتكلم بلسان القوم ويصف الهتهم بالربوبيـة ويقول: «أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» (۱).

إلى هنا تم تحديـد العبادة تحديـداً منطقياً معتمداً على الكتاب وما درج عليه العُبّاد في عباداتهم سواء أكان المعبود مسـتحقاً للعبادة أم غير مستحق. فهلمّ معي، نعرض ما يقوم به المسلمون في الحرمين الشريفين على الضابطة.

۲. عرض التمسح والتوسل على الضابطة

وعلى ضوء ذلك نعرض على هـذه القاعـدة الاعمال الّتي يقوم بها عشاق الحرم النبوي أو الحرم المكي من التمسـح بالجـدران وتقبيل الشبابيك وغير ذلك، فقد وصفها الشيخ بكونها شركاً وعبادة لغير اللّه، كما عدّ طلب الحاجات منهم ودعاءَهم كذلك.

كان على الشيخ ان يُفرّق بين أمرين- فهو قد رمى

۱- يوسف: ۳۹.

ص: ۱۴۶

الجميع بسهم واحد- وهو هل المتبرك والمتمسح والداعى يعتقد فى الأبواب والجدران والشبابيك واركان الكعبة والنبى والأولياء قدرة غيبية خارقة للعادة يقدر بها المعبود على إنجاز حاجته، أو أنّه يتمسح ويقبل ويتبرك حباً بالنبى وآثاره من دون أن يعتقد أى تأثير غيبى فيها.

لا أظن أن الشيخ يجد على اديم الأرض أو فى الحرمين الشريفين من يقوم بهذه الاعمال، فعامة المسلمين من كل الطوائف لا ينطلقون إلّامن مبدأ الحب والتكريم لا غير.

كما أن دعاءهم والاستغاثة بهم ليس إلّالأجل طلب الدعاء منهم، فهم ينطلقون بعد رحلة النبى صلى الله عليه و آله و سلم عما كانوا ينطلقون فى حياته، فقد أمر اللَّه سبحانه المؤمنين بالتوسل بدعاء النبى فقال: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً» (۱).

فلوكان طلب‌الدعاء من‌النبى بعد رحيله شركاً وعبادة له يكون الطلب منه فى حال حياته شركاً وعبادة له أيضاً إذ الحياة والموت ليسا ملاكين للتوحيد والشرك، بل اقصى ما

۱- النساء: ۶۴.

ص: ۱۴۷

یمکن ان یقول القائل بأنهما ملاکان للجدوی وعدمها.

وکلامنا فی المقام فی کون الدعوهٔ شرکاً وعدمه، وأما کونها مفیدهٔ أو لا، فهو أمر ثان یطلب لنفسه مجالًا آخر.

۳. عقیدهٔ المشرکین فی دور معبوداتهم فی قضاء الحوائج

لم یزل اساتذهٔ الشیخ من أولهم إلی آخرهم یستدلون علی أن التوسل بالأنبیاء والأولیاء وعلی رأسهم النبی الأعظم صلی الله علیه و آله و سلم شرک بالآیتین التالیتین:

الأُولی: قال تعالی: «وَ یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا یَضُرُّهُمْ وَ لَا یَنْفَعُهُمْ وَ یَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا یَعْلَمُ فِیالسَّمَاوَاتِ وَلَا فِی الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَی عَمَّا یُشْرِکُونَ» (۱).

الثانیهٔ: قال تعالی: «أَلَا لِلَّهِ الدِّینُ الْخَالِصُ وَ الَّذِینَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِیَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِیُقَرِّبُونَا إِلَی اللهِ زُلْفَی إِنَّ اللهَ یَحْکُمُ بَیْنَهُمْ فِی مَا هُمْ فِیهِ یَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لَا یَهْدِی مَنْ هُوَ کَاذِبٌ کَفَّارٌ» (۲).

۱- یونس: ۱۸.

۲- الزمر: ۳.

ص: ۱۴۸

اما الآیـة الأُولی فقـد ذکر الشیخ فی کیفیـة الاسـتدلال بها أنّ عمل المسـلمین کعمل بقیـة المشـرکین، فقال: إن المشـرکین یقصدون بذلک أنها تشـفع لهم عند اللَّه وتقربهم إلیه زُلفی ولم یعتقدوا انها هی الّتی تقضـی حاجاتهم وتشفی مرضاهم وتنصرهم علی عدوهم کما بین اللَّه سبحانه ذلک عنهم فی قوله: «وَیَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَایَضُرُّهُمْ وَلَا یَنْفَعُهُمْ وَیَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ» (۱).

یلاحظ علیه:

أوّلًا: هناک فرق بین عمل المشرکین والموحدین فإن المشرکین یقومون بعملین مختلفین:

۱. یعبدون أصنامهم وآلهتهم المزعومة کما قال سبحانه: «وَیَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَایَضُرُّهُمْ وَلَا یَنْفَعُهُمْ».

۲. یعتقدون بأن آلهتهم شفعاؤهم کما یقول:

«وَیَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ» (۲).

۱- یونس: ۱۸.

۲- یونس: ۱۸.

ص: ۱۴۹

وهذا يدل على أن ملاک شركهم هو عبادة غير اللَّه سبحانه، لا قولهم بأن الآلهة شفعاؤهم عند اللَّه.

وعند ذلك فكيف يصح حمل عمل الموحدين على المشركين، أفيصح أن يعطف من يعبد اللَّه سبحانه على مَنْ يعبد الاصنام والأوثان بمجرد اشتراكهما فى الاعتقاد بالشفعاء؟

ثانياً: ان المشركين كانوا يعتقدون بقدرة غيبية فى أصنامهم وأوثانهم وأن الهتهم يقومون بقضاء حاجاتهم مستقلين عن اللَّه سبحانه، وقد مرّت الآيات الّتى تؤكد أنهم كانوا يعتقدون أن العزة والذلة والنصر والخذلان بأيديهم، كما كانوا يعتقدون أنهم يملكون مقام الشفاعة ويشفعون لعبادهم، واين هذا من عمل الموحد الّذى يعتقد بأن العزة والذلة والنصر والخذلان والشفاعة وغيرها بيد اللَّه سبحانه؟!

فمجرد إشتراكهم بالاعتقاد بالشفاعة لا يجمعهم تحت خيمة واحدة مع أن شفعاءَهم شفعاء غير واقعيين بخلاف شفعاء الموحدين كالنبى ومن نص الكتاب والسنة على قبول شفاعتهم.

ومع هذين الأمرين كيف يقول الشيخ: «لم يعتقدوا انها هى الّتى تقضى حاجاتهم وتشفى مرضاهم وتنصرهم على عدوهم؟!».

ص: ۱۵۰

افیصح أن نجعل فی صف واحد مَنْ یسوی بین الاصنام ورب العالمین ویصورها نداً للّهسبحانه ومَنْ یعبد اللّه سبحانه ولا یری له نداً ولا مثلًا ویتلو کل یوم ولیلة قوله سبحانه: «قُلِ اللهُمَّ مَالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْکَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِیَدِکَ الْخَیْرُ إِنَّکَ عَلَی کُلِّ شَیءٍ قَدِیرٌ» (۱).

وقد روی ابن هشام فی سیرته ان عَمرو بن لُحیّ کان أوّل من أدخل الوثنیة إلی مکة ونواحیها، فقد رأی فی سفره إلی البلقاء من أراضی الشام أُناساً یعبدون الأوثان وعندما سألهم عمّا یفعلون بقوله: ما هذه الأصنام الّتی أراکم تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا. فقال لهم: أفلاتعطونی منها صنماً، فأسیر به إلی أرض العرب فیعبدوه؟ فأعطوه صَنما یقال له هُبَل، فقدم به مکَّة، فنصبه وأمرَ الناس بعبادته وتعظیمه. (۲) فمع هذه القصة والآیات الّتی تلوناها علیک کیف یقول الشیخ: بأنهم لم یعتقدوا بأن الهتهم هی الّتی تقضی حاجاتهم وتشفی مرضاهم وتنصرهم علی عدوهم؟!

۱- آل عمران: ۲۶.

۲- السیرة النبویة: ۱/ ۷۶- ۷۷.

ص: ۱۵۱

وأمـا الاسـتدلال بقوله سـبحانه: «مَـا لَایَضُـرُّهُمْ وَلَا یَنْفَعُهُمْ» فهو تندیـد من اللّه سـبحانه بهم، ونقـد لعقائـدهم حیث کانوا یعتقـدون بان اصنامهم تضرهم وتنفعهم لا أنّه من کلامهم ولا یعبر عن عقائدهم.

إلی هنا تم الکلام حول الآیة الأُولی الّتی أوردها الشیخ وانها لا تصلح لاثبات مدعاه، لو لم تکن دلیلًا علی خلافه.

وإلیک الکلام فی الآیة الثانیة:

یقول الشـیخ فی ذیل هـذه الآیـة: إن الکفار لم یقصـدوا من الهتهم أنهم یشـفون مرضاهم أو یقضون حوائجهم وإنّما أرادوا منهم أنهم یقربونهم إلی اللّه زلفی.

یلاحظ علیه:

أوّلًا: ان قوله سـبحانه: «إِنَّ اللهَ یَحْکُمُ بَیْنَهُمْ فِی مَا هُمْ فِیهِ یَخْتَلِفُونَ» دلیل علی أن قولهم: «مَا نَعْبُـدُهُمْ إِلَّا لِیُقَرِّبُونَا إِلَی اللَّهِ زُلْفَی» لم یکن أمراً متفقاً علیه وإنّما هو کلام بعضهم لا کلهم.

فکیف یمکن ان یکون ذلک منطق عامة الوثنیین، مع أن قسماً کبیراً منهم إذا دُعُو إلی عبادة اللّه اخذهم الکبر کما

ص: ۱۵۲

یقول سبحانه: «إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ» (۱)

فلو کان الداعی إلی عبادة الالهة المزعومة، مجرد انهم یقربونهم إلی اللَّه زلفی وکان التقرب إلیه سبحانه هو الغایة القصوی لما وجدوا فی انفسهم حرجاً وتکبراً إذا دُعوا إلی عبادته.

کل ذلک یدل علی ان المشرکین لم یکونوا متفقین علی أن عبادتهم للاصنام لأجل تحصیل التقرب إلی اللَّه تعالی.

ثانیاً: ان ذیل الآیة وهو قوله تعالی: «إِنَّ اللَّهَ لَايَهْدِى مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ» یشهد بأن ما لهجوا به کان غطاءً لعقیدتهم الحقیقیة وانهم کانوا یکذبون فی قولهم: «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى»، بل کانوا یعتقدون بأن لآلهتهم قدرة غیبیة علی قضاء حوائجهم وأنهم أرباب بیدهم مصیرهم وفلاحهم فی الدنیا والآخرة.

وبعبارة أُخری: لما واجه المشرکون إحتجاج الموحدین علی سفاهة عقولهم واحلامهم فی الاعتقاد بأن آلهتهم تضر وتنفع، حاولوا تصحیح عملهم بأنهم لا یعبد عن اعتقاد بأن بیدها الخیر والشر وإنّما یعبدونها لأجل أمر واحد، وهو ان عبادة الالهة تقربهم إلی اللَّه زلفی فقط،

۱- الصافات: ۳۵.

ص: ۱۵۳

وعندئذ فضحهم سبحانه وكذبهم فقال: «إِنَّ اللَّهَ لَايَهْدِی مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ».

هل الدعاء والعبادة مترادفان؟

اشارة

لم نزل نسمع من الشيخ ابن باز وأساتذته ومبتكری منهجه أنهم يستدلون بالآيات الّتی نزلت فی حق المشركين علی اعمال المسلمين مع البون الشاسع بين عقيدتی الطائفتين وعملهما، ومن هذا القبيل أنهم يستدلون بالآيات الّتی ورد فيها النهی عن دعاء غير اللَّه علی شرك من دعا رسول‌اللَّه صلی الله عليه و آله و سلم وقال: «يا رسول اللَّه اشفع لی عند اللَّه»، بتصور أن خطابه هذا يكون دعاءً لغير اللَّه ولأجل قلع هذه الشبهة وتفنيدها نذكر كلام الشيخ أوّلًا ثم نذكر موقف الكتاب والسنة فی هذا الموضوع:

يقول الشيخ: فالواجب علی مثلكم تدبر هذا المقام وإعطاؤه ما يستحق من العناية. ويدل علی كفرهم أيضاً بهذا الاعتقاد، قوله سبحانه:

«وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ» (۱)

فسماهم

۱- المؤمنون: ۱۱۷.

ص: ۱۵۴

فی هذه الآیهٔ کفاراً وحکم علیهم بذلک لمجرد الدعاء لغیر اللّه من الأنبیاء والملائکهٔ والجن وغیرهم.

ویدل علی ذلک أیضاً قوله سبحانه فی سورهٔ فاطر: «ذَلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمْ لَهُ الْمُلْکُ وَالَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا یَمْلِکُونَ مِنْ قِطْمِیرٍ* إِنْ تَدْعُوهُمْ لَایَسْمَعُوا دُعَاءَکُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَکُمْ وَیَوْمَ الْقِیَامَهِٔ یَکْفُرُونَ بِشِرْکِکُمْ وَلَا یُنَبِّئُکَ مِثْلُ خَبِیرٍ» (۱).

فحکم سبحانه بهذه الآیهٔ علی أنّ دعاء المشرکین لغیر اللّه، من الأنبیاء والأولیاء، أو الملائکهٔ أو الجن، أو الأصنام أو غیر ذلک بأنه شرک، والآیات فی هذا المعنی لمن تدبر کتاب اللّه کثیرهٔ.

یلاحظ علیه بالنقض أوّلًا بأنّه لو کان مطلق الدعاء سواء أکان المدعوّ حیّاً أم میتاً شرکاً وعبادهٔ له لزم أن

۱- فاطر: ۱۳- ۱۴.

ص: ۱۵۵

لا يوجد على وجه البسيطة أى موحد يعبد اللّه وحده فإن الناس جميعاً يتعاونون ويدعو بعضهم بعضاً حتّى أنّه سبحانه لم يحرم دعاء الرسول فى حال حياته وإنّما حرّم أن يكون دعاؤه مع دعاء الغير على صعيد واحد حيث كانوا يقومون وراء الحجرات ويقولون يا محمد أخرج فوافاهم النهى وقال: «لَاتَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا» (۱).

يقول ابن كثير فى تفسير الآية: كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم فنهاهم اللّه عزوجل عن ذلك إعظاماً لنبيه صلى الله عليه و آله و سلم قال: فقولوا يا نبى اللّه يا رسول اللّه. وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير. وقال قتادة: أمر اللّه أن يهاب نبيه صلى الله عليه و آله و سلم وأن يبجل وأن يعظم وأن يسود.

وقال مقاتل فى قوله: «لَاتَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا» يقول: لا تسموه إذا دعوتموه يا محمد ولا تقولوا يا ابن عبداللّه ولكن شرفوه يا نبى اللّه يا رسول‌اللّه.

وقال مالك عن زيد بن أسلم فى قوله: «لَاتَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا» قال أمرهم اللّه أن يشرفوه، هذا قول وهو الظاهر من السياق. (۲)

۱- النور: ۶۳.

۲- تفسير ابن كثير: ۳/ ۳۰۶.

ص: ۱۵۶

ويقول سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» (۱)

.

ولو قال القائل: إن دعاء الحى فى انجاز الأُمور الدنيوية والأخروية ليس بشرك وإنّما الشرك هو دعاء الميت لأمر من الأُمور.

يلاحظ عليه: بأن لازم ذلك أن يكون عامة المسلمين مشركين حيث يسلمون عليه فى صلواتهم ويدعونه وأى دعاء أوضح من قولهم: السلام عليك(أيها النبى).

كل ذلك يبعثنا إلى دراسة معنى الدعاء فى الآيات الّتى يستدل بها على ان دعاء غيره سبحانه شرك، فنقول:

إن المراد من الدعاء فيها ليس مطلق الدعوة وإنّما المراد منه العبادة، ويشهد على ذلك أن المراد من الدعوة فيها هو العبادة هو قوله تعالى: «ادْعُونى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» (۲)

فالمراد من الدعوة فى صدر الآية هى العبادة ولذلك ختمت الآية

۱- الحجرات: ۴.

۲- غافر: ۶۰.

ص: ۱۵۷

بلفظ العبادة.

وعلى ضوء ذلك فمعنى قوله سبحانه: «فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا» (۱)

أى لا تعبدوا مع اللّه أحداً، وليس للنهى عن المعيّة سبب سوى كون دعاء الغير فى الآية عبادة. وبذلك تعرف مفاد سائر الآيات، فإن نهى المشركين عن دعوة غير اللّه سبحانه إنّما هى لأجل أن دعوتهم كانت عبادة للاصنام حيث كانوا يعتبرون الاصنام آلهة تملك مصير العباد كلا أو جزءً، عاجلًا وآجلًا، ولذلك يندد القرآن بدعائهم لأجل أنهم عاجزون عن قضاء حوائجهم، ويقول:

«وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَ لَا أَنْفُسَهُمْ» (۲)

، ويقول أيضاً: «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ» (۳).

فخلاصة القول: إنالمشركين كانوايعتبرون أصنامهم آلهة صغاراً، وأنّ أفعال اللّه تعالى مفوضّة إليها بشكل مطلق أو بشكل جزئى.

لكن طلب الشفاعة والدعاء من إنسان منحه اللّه الكرامة والمنزلة فاقد لهذه الخصائص والشروط.

فأين اعتقاد المشركين فى حقّ أصنامهم من اعتقاد المسلمين فى حقّ أوليائهم.

۱- الجن: ۱۸.

۲- الأعراف: ۱۹۷.

۳- الأعراف: ۱۹۴.

ص: ۱۵۸

وعلى ضوء ذلك فلو أردنا أن نحدد مفهوم العبادة والدعاء تحديداً منطقياً فيجب أن نقول: يوجد بين المفهومين عموم وخصوص من وجه:

۱. إذا كان دعاء الغير مقروناً بالاعتقاد بأن له قدرة غيبية يستطيع بها قضاء حاجته فهو دعاء وفي الوقت نفسه عبادة، ففي هذا المقام يجتمعان.

واما موضع الافتراق: فلو دعا صالحاً طلب منه الدعاء سواء أكان حياً أم ميتاً دون أن يعتقد فيه القدرة الغيبية، أو كونه مالكاً لمصيره وانجاز عمله فهو دعاء وليس بعبادة.

۳. إذا كان معتقداً بأن المخضوع له رب ومالك يملك قضاء حاجته فخضع له بالجوارح فهو عبادة وليس دعاء.

ثم إن الشيخ بعد ذلك يستدل بآيتين كريمتين على أن دعاء غير اللَّه شرك وكفر، وإليك الآيتين:

الآية الأُولى:

«وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ» (۱).

۱- المؤمنون: ۱۱۷.

ص: ۱۵۹

وقال فی کیفیة الاستدلال بهذه الآیة علی أن عمل المسلمین شرک: «فسماهم فی هذه الآیة کفاراً وحکم علیهم بذلک لمجرد الدعاء لغیر اللَّه فی الأنبیاء والملائکة والجن وغیرهم».

یلاحظ علیه: بوجود الفرق بین المدعوّین فإن المدعوّ فی الآیة هو الإله الّذی له- فی عقیدة الداعی- قدرة التصرف فی الکون أو فی مصیر الداعی کلًا أو جزءاً، والمدعو عند الطائفة الثانیة هو العبد الصالح الّذی یستجاب دعاؤه باذن اللَّه سبحانه، فعطف الطائفة الثانیة علی الأُولی من قبیل عطف المباین علی المباین وبالتالی جعل المشرک والمسلم فی صف واحد!! والشاهد علی ذلک أنّه یصف مدعوّ المشرکین بقوله: «إلهاً آخر لا برهان له» وهذا التعریف لا ینطبق إلّاعلی مدعوّ المشرکین، ولا صلة له بمدعوّ الموحدّین ویشهد علی ذلک قوله سبحانه فی آیة أُخری: «أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ صَادِقِینَ» (۱).

۱- النمل: ۶۴.

ص: ۱۶۰

وعلى ضوء ما ذكرنا فوصفهم بالكفر وعدّهم كفاراً ليس «لمجرد دعاء الغير» كما هو صريح عبارة الشيخ، بل لأجل ان دعاءهم نابع من الاعتقاد بان المدعوّ إله وان له قدرة غيبية يتصرف فى الكون وبيده مصير الداعى كلًا أو جزءاً ولو فى مجالى الشفاعة وغفران الذنوب، فكيف يستدل بآية لا مساس لها بعمل جمهرة المسلمين؟!

يقول ابن كثير: فى تفسير هذه الآية: يقول تعالى متوعداً من أشرك به غيره وعبد معه سواه ومخبراً أن من أشرك باللَّه لا برهان له أى لا دليل له (۱).

الآية الثانية:

«ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ* إِنْ تَدْعُوهُمْ لَايَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» (۲).

قال الشيخ فى كيفية الاستدلال: «حكم سبحانه فى هذين الآيتين على أن دعاء المشركين لغير اللَّه من الأنبياء والأولياء أو الملائكة أو الجن أو الاصنام أو غير ذلك بأنّه شرك».

۱- تفسير ابن كثير: ۳/ ۲۵۹.

۲- فاطر: ۱۳- ۱۴.

ص: ۱۶۱

يلاحظ عليه: بأن وزان هـذه الآيـة وزان الآية السابقة وكلتاهما تصبّان في مورد واحد وليس الموضوع «دعاء المشركين لغير اللَّه» كما زعمه الشيخ وإنّما الموضوع دعاء المشركين أربابَهم وآلهتهم الذين يعتقدون فيهم قدرة التأثير ويملكون شيئاً من مصير العابد، وليس الموضوع مطلق دعوة الغير حتّى فيما إذا كان العابـد معتقـداً بأن المدعو عبد صالح لا يملك شيئاً غير أن له مقاماً عند اللَّه يستجاب- لأجله- دعاؤه باذن اللَّه تعالى.

ولـذلك تركّز الآيـة على عجز الهتهم وتنـدد باعتقـادهم بـأن هؤلاـء الآلهـة واربـابهم- على خلاف ما يزعمون- لا يملكون من قطمير، والقطمير عبـارة عن اللفافـة الّتى تكـون على نواة التمر. (۱) فكيف يستطيعون انجـاز دعوتكم وقضـاء حاجتكم فاين دعوة المسلمين المتوغلّين في التوحيـد واستغاثتهم بـالنبى في حيـاته ومماته، من عمـل المشركين المتوغلين في عبـادة آلهتهم: «وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» (۲)

.

۱- القطمير: هو القشرة الرقيقة بين النواة والتمرة؛ المنجد: ۶۴۲.

۲- الزمر: ۴۵.

ص: ۱۶۲

وإن كان الشيخ ومن على منهجه فى شك ممّا أقول فليتـدبروا فى كلام ابن كثير ذلك التفسير الّذى يعد مرجعا لابناء جلدته، يقول: «والذين تدعون من دونه» أى من الاصنام والانداد الّتى هى على صورة من تزعمون من الملائكة المقربين «ما يملكون من قطمير» أى لا يملكون من السماوات والأرض شيئاً «إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم» يعنى الالهة الّتى تدعونها من دون اللّه لا تسمع دعاءكم لانها جماد لاـ أرواح فيها ...» إلى آخر ما ذكره. (۱) وقد ذكرنا أن لصدق العبادة مقومين؛ أحدهما يرجع إلى الاعتقاد القلبى والآخر إلى ابراز تلك العقيدة بقول أو فعل. والمسلم والمشرك وإن كانا يشتركان فى المقوم الثانى حتّى أنّ أعمال الحج من الطواف والسعى والرمى والذبح كلها أعمال تعرب عن خضوع الحاج، ولكن يفترقان فى العنصر الأوّل، وقد اوضحنا ذلك فيما سبق.

کلام لابن تیمیة

۱- تفسير ابن كثير: ۳/ ۵۵۱.

ص: ۱۶۳

ان الشیخ ابن باز ومن علی منهجه ومسلکه حتّی مشایخه یستدلون بکلام ابن تیمیة ولذلک ملأ الشیخ رسالته بکلام ابن تیمیة فنقل کلاماً مفصلًا منه، ولم یقتصر علی ذلک ثم نقل مثله أیضاً من کتابه الآخر. ولأجل ذلک نشیر إلی نماذج من کلامه مع تحلیلها:

۱. قال: ویقولون(المتوسلون بالنبی) إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته کنا بمنزلة الذین طلبوا الاستغفار من الصحابة. ویخالفون بذلک الاجماع من الصحابة والتابعین لهم باحسان، وسائر المسلمین، فإن أحداً منهم لم یطلب من النبی صلی الله علیه و آله و سلم بعد موته أن یشفع له، ولا سأله شیئاً، ولا ذکر ذلک أحدٌ من أئمة المسلمین فی کتبهم وإنّما ذکر ذلک من ذکره من متأخری الفقهاء.

یلاحظ علیه: أنّه کیف یدعی أن أحداً من المسلمین لم یطلب من النبی صلی الله علیه و آله و سلم بعد موته ان یشفع له ولا سأله شیئاً، مع أن فی غضون التاریخ والحدیث شواهد کثیرة والمجموع یثبت أنّ السؤال والتوسل بعد رحیله کان أمراً مسلماً، وإلیک نماذج من ذلک:

۱. روی مفتی مکة المشرّفة زینی دحلان فی سیرته قال: ان أبا بکر دخل حجرة النبی- بعدما توفی صلی الله علیه و آله و سلم وقال: طبت حیّاً ومیتاً، وانقطع بموتک ما لم ینقطع للأنبیاء قبلک،

ص: ۱۶۴

فعظمت عن الصفهٔ وجللت عن البکاء، ولو أن موتک کان اختیاراً لجُدنا لموتک بالنفوس، اذکرنا یا محمد عند ربک ولنکن علی بالک. (۱) ۲. قال أمیر المؤمنین علی علیه السلام عندما ولی غسل رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم: «بأبی انت وأمی یا رسول اللَّه لقد انقطع بموتک مالم ینقطع بموت غیرک من النبوهٔ والأنباء وأخبار السماء- إلی أن قال-: بأبی انت وأمی اذکرنا عند ربک واجعلنا من بالک» (۲).

۳. روی الطبرانیّ عن أبی أُمامهٔ بن سهل بن حنیف عن عمّه عثمان بن حنیف، أنَّ رجلًا کان یختلف إلی عثمان بن عفان رضی الله عنه فی حاجهٍ له، فکان عثمان لا یلتفت إلیه ولا ینظر فی حاجته، فلقی ابن حنیف فشکی ذلک إلیه فقال له عثمان بن حنیف: إئت المیضأهٔ فتوضأ ثمّ إئت المسجد فصلّ فیه رکعتین ثمّ قل: «اللّهمّ إنّی أسألک وأتوجّه إلیک بنبیّنا محمّد صلی الله علیه و آله و سلم نبیّ الرحمهٔ یا محمّد إنّی أتوجّه بک إلی ربّی

۱- سیرهٔ زینی دحلان، بهامش السیرهٔ الحلبیهٔ: ۳/ ۳۹۱، طبع مصر.

۲- نهج البلاغهٔ: الخطبهٔ ۲۳۵، شرح ابن أبی الحدید المعتزلی: ۱۳ / ۲۴(رواه عن محمد بن حبیب المتوفی ۲۴۵ ه)؛ المفید عن ابن عباس فی امالیه: ۱۰۳، المجلس الثانی عشر.

ص: ۱۶۵

فتقضى لى حاجتى» فتذكر حاجتك ورُحْ حتّى أروحَ معك.

فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثمّ أتى باب عثمان بن عفان رضى الله عنه فجاء البوّاب حتّى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان رضى الله عنه فأجلسه معه على الطنفسة فقال: حاجتك؟ فذكر حاجته وقضاها له ثمّ قال له: ما ذكرت حاجتك حتّى كان الساعة. وقال: ما كانت لك من حاجة فاذكرها.

ثمّ إنّ الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال له: جزاك اللّه خيراً ما كان ينظر فى حاجتى ولا يلتفت إلىَّ حتّى كلّمتَه فىّ، فقال عثمان بن حنيف: واللّه ما كلّمته، ولكنّى شهدتُ رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم وأتاه ضريرٌ فشكى إليه ذهاب بصره فقال له النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم: فتصبر؟ فقال: يا رسول اللّه ليس لى قائدٌ فقد شقّ علىّ.

فقال النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم: أئت الميضأة فتوضأ ثمّ صلِّ ركعتين، ثمّ ادع بهذه الدعوات.

قال ابن حنيف: فواللّه ما تفرّقنا وطال بنا الحديث حتّى دخل علينا الرجل كأنّه لم يكن به ضرّ قط (۱).

۱- المعجم الكبير للحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمى الطبرانى(۳۶۰) ۹: ۱۶- ۱۷، باب ما أُسند إلى عثمان بن حنيف برقم ۸۳۱۰ والمعجم الصغير له أيضاً ۱: ۱۸۳- ۱۸۴. والرواية تصلح للتأييد ويعاضدها سائر الروايات.

ص: ۱۶۶

۴. ما أخرجه الحاکم بسند صحیح علی شرط الشیخین وأقره الذهبی فی تلخیص عن داود بن أبی صالح قال: أقبل مروان یوماً فوجد رجلًا واضعاً وجهه علی القبر فأخذ برقبته فقال أتدری ما تصنع؟ قال: نعم، فاقبل علیه فإذا هو أبو ایوب الانصاری، فقال: جئت رسول اللَّه فلم آت الحجر. (۱) وقد تقدم نقله أیضاً فی مسألة التبرک.

۵. ما رواه الحافظ ابن حجر فی الفتح، قال: روی ابن أبی شیبة باسناد صحیح من روایة أبی صالح السمّان عن مالک الداری وکان خازن عمر قال: أصاب الناس قحط فی زمن عمر فجاء رجل إلی قبر النبی صلی الله علیه و آله و سلم فقال: یا رسول اللَّه استسق لأمتک فإنهم قد هلکوا. (۲) والسند کما وصفه ابن حجر صحیح: قال: حدثنا أبو معاویة عن الأعمش عن أبی صالح عن مالک الداری وفیه(مالک الدار) مکان(مالک الداری).

۱- المستدرک باب الفتن والملاحم: ۴/ ۱۲.

۲- فتح الباری: ۲/ ۴۹۵، ولاحظ المصنف لابن أبی شیبة: ۷/ ۴۸۲.

ص: ۱۶۷

ثم قال ابن حجر: وقد روى سيف فى الفتوح ان الرجل هو بلال بن الحارث المزنى أحد الصحابة. (۱) ذكر تقى الدين السبكى فى شفاء السقام والسمهودى فى وفاء الوفا قالا: روى سفيان بن عنبر عن العتبى- وكلاهما من مشايخ الشافعى وأساتذته- أنّه قال: كنتُ جالساً عند قبر رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم فجاء أعرابى فقال: السلام عليك يا رسول اللَّه، سمعتُ اللَّه يقول: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً» (۲)

وقد جئتك مستغفراً من ذنبى، مستشفعاً بك إلى ربى».

ثم بكى وأنشأ يقول:

يا خير من دُفنت فى القاع أعظمُهُ فطاب من طيبهن القاعُ والأكُمُ

نفسى الفداء لقبرٍ أنت ساكنُه فيه العَفافُ وفيه الجودُ والكَرمُ

ثم استغفر وانصرف (۳).

۱- المصدر نفسه.

۲- النساء: ۶۴.

۳- وفاء الوفاء: ۴/ ۱۳۶۱؛ الدرر السنّية لأحمد دحلان: ۲۱.

ص: ۱۶۸

ویروی أبو سعید السمعانی عن الإمام علی بن أبی‌طالب علیه السلام أن أعرابیاً جاء بعد ثلاثة أیام من دفن رسول‌اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم فرمی بنفسه علی القبر الشریف وحثا من ترابه علی رأسه وقال: «یا رسول اللَّه قلت فسمعنا قولک، ووعیتَ عن اللَّه ما وعینا عنک، وکان فیما أنزله علیک: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ...» وقد ظلمت نفسی وجئتک تستغفر لی إلی ربی» (۱) ۶. انشدت صفیة بنت عبد المطلب بعد وفاة النبی صلی الله علیه و آله و سلم فی رثائه وقالت:

ألا یا رسول اللَّه انت رجاؤنا وکنت بنا برّاً ولم تکُ جافیا

وکنت بنا بَرّاً رؤوفاً نبیّنا لِیَبْکِ علیک الیوم من کان باکیا (۲)

سواء أکان الصحیح «انت رجاؤونا» أو الصحیح «کنت رجاؤنا» فإن الجملتین تشترکان فی دعاء المیت دعاء

۱- الجوهر المنظّم لابن حجر وذکره السمهودی فی وفاء الوفاء ۲/ ۶۱۲؛ وزینی دحلان فی الدرر السنیة: ۲۱.

۲- ذخائر العقبی لمحب الدین الطبری: ۴۲۱؛ مجمع الزوائد: ۹/ ۳۶.

ص: ۱۶۹

من یرجو أن یستمر رجاؤه أیضاً بعد وفاته، وهذا یکشف انّه لم یکن معروفاً بین الصحابة ان مثل هذا النوع من الدعاء إذ لو کان دعاؤه شرکاً لما اقدمت علیه عالمة أهل البیت عمّة رسول اللَّه(رضی اللَّه عنها).

۷. سأل المنصور الدوانیقی العباسی، مالک بن أنس- إمام المالکیة- وهما فی مسجد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم فقال: یا أبا عبداللَّه أستقبل القبلة وأدعو أم استقبل رسول اللَّه؟

فقال مالک: لِمَ تصرف وجهک عنه، وهو وسیلتک ووسیلة أبیک آدم إلی اللَّه یوم القیامة؟ بل استقبله واستشفع به فیشفعّک اللَّه. (۱)

وهذه الروایات یعاضد بعضها بعضاً وتفید الاطمئنان بجریان السیرة علی طلب الدعاء عن الرسول بعد رحیله وان کان البعض غیر نقیّ السند.

وفی الختام نقول:

لا یصح لباحث أن یرفض هذه الروایات بمجرد أنها لا توافق رأی ابن تیمیة ومن نهج منهجه مع أن فیها الصحیح والمعتبر، ومضمونها متواتر إجمالًا یعبر عن تسالم الأُمّة علی جواز التوسل بالنبی بعد رحیله.

۱- وفاء الوفاء: ۴/ ۱۳۷۶.

ص: ۱۷۰

ولكنا نتنازل ونفترض أن هذه الروايات أحاديث مختلقة مكذوبة على أصحابها ومع ذلك كله ففى هذه الروايات الّتى يصفها المخالف بالكذب شهادة واضحة على تسالم الأُمّة على صحة التوسل بالنبى صلى الله عليه و آله و سلم، إذ لو كان هذا العمل شركاً وبدعة وخروجاً عن الدين لما وضعها الوضاعون ولا لهج بها لسان القصاصين لأن الغاية من نشر هذه الروايات إمالة قلوب الناس إلى ما يروون ويحدثون به، ومن المعلوم أن تلك الغاية لا تتحقق فيما لو كذبوا و اختلقوا أموراً لا يقبلها الناس حسب فطرتهم ومستوى فهمهم، فلو كان المضمون شركاً لردّه السامع عند الوهلة الأُولى لمواجهة الراوى بالتحديث والرواية.

ومن هذه النماذج يُعلم عدم صحة قول الشيخ: «من أن أحداً من الصحابة لم يطلب من النبى صلى الله عليه و آله و سلم بعد موته أن يشفع له ولا سأله شيئاً».

كيف يقول ذلك: وما ذكرنا من الصحابة والتابعين دليل واضح على أنهم طلبوا من النبى بعد موته الشفاعة وسألوه شيئاً.

وانت إذا أحطت بما ذكرنا من الأحاديث والآثار تقدر على تقييم ما ذكره ابن تيمية حيث قال:

ص: ۱۷۱

ان مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به اللّه تعالى قال تعالى: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ» (۱).

وقد عرفت ان التوسل بالنبی والأئمة من أهل بيته ليس عبادة لعدم توفر العنصر الثانی فی صدق العبادة فكيف يقول «أحدثوا من الشرك والعبادات». ثم إن هذه الاعمال لو افترضنا أن المسلمين يقومون بها بعنوان أنها جزء من الدين فقد أذن اللّه بها على ضوء ما تلوناه عليك من الروايات والاثار.

كلام آخر لابن تيمية

اشارة

ثم ان الشيخ ابن باز أورد كلاماً آخر لابن تيمية نقله عن رسالته إلى أتباع الشيخ على بن مسافر(ص ۳۲) وممّا جاء فيها قوله: والذين كانوا يدعون مع اللّه ألهة أُخرى مثل الشمس والقمر و ... لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق اوانها تُنزل المطر أو انها تنبت النبات وإنّما كانوا يعبدون الأنبياء والملائكة أو يعبدون قبورهم ويقولون إنّما نعبدهم ليقربونا إلى اللّه زلفى ويقولون هم شفعاؤنا عند اللّه،

۱- الشورى: ۲۱.

ص: ۱۷۲

فأرسل اللّه رسله تنهی أن یدعی أحد من دونه لا دعاء عبادهٔ ولا دعاء استغاثهٔ. قال تعالی: «قُلِ ادْعُوا الَّذِینَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا یَمْلِکُونَ کَشْفَ الضُّرِّ عَنْکُمْ وَلَا تَحْوِیلًا* أُولَئِکَ الَّذِینَ یَدْعُونَ یَبْتَغُونَ إِلَی رَبِّهِمُ الْوَسِیلَهَ أَیُّهُمْ أَقْرَبُ وَیَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَیَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّکَ کَانَ مَحْذُوراً» (۱).

یلاحظ علیه:

ان ما نقله ابن باز عن ابن تیمیهٔ أمر مستدرک لا حاجهٔ له لأنّه ذکره فی کلامه السابق والفرع مطابق للأصل تماماً وقد عرفت سقوط الاستدلال وذلک.

أوّلًا: وجود الفرق بین المسلمین والمشرکین فالطائفهٔ الأُولی یوحدون اللّه تعالی ولا یرون له نداً ذاتاً وصفاتً وافعالًا، بخلاف المشرکین فیجعلون له «أَنْدَادًا یُحِبُّونَهُمْ کَحُبِّ اللهِ» ویسوون بینهم وبین اللّه سبحانه کما مرّ، ولذلک کان دعاؤهم واستغاثتهم عبادهٔ لالهتهم المزعومهٔ بخلاف دعاء المسلمین وطلبهم الّذی هو توسل بأفضل خلیقته وطلب الدعاء منه لأن له مقاماً عند اللّه لا یرد دعاؤه.

وثانیاً: نسب إلی المشرکین بأنهم ما کانوا یعتقدون

۱- الاسراء: ۵۶- ۵۷.

ص: ۱۷۳

بأن الهتهم «تخلق الخلائق أو انها تنزل المطر أو انها تنبت النبات».

يلاحظ عليه: بأن المشركين لم يكونوا على منهج واحد محدد لا ينقص ولا يزيد بل كانوا مختلفين فى درجات الشرك فقد عرفت أنهم كانوا يعتقدون ان العزة والنصر بيد الهتهم كما كانوا يعتقدون بأن الشفاعة والمغفرة حق طبيعى لهم، وقد مرّ أن عمرو بن لحى هو الّذى ادخل الوثنية إلى مكة وجاءهم ب «هبل» من بلاد الشام وأمر الناس بعبادته وتعظيمه، وما جاء به إلّابعد أن رأى أن أهل الشام يستمطرون به عند الجدب ويستنصرون به عند الشدّة، ومع ذلك كيف يصح لابن تيمية أن يجمع بين الموحدين والمشركين؟!

ثالثاً: قد تقدم ان المشركين فى عهد الرسالة وان كانوا يقولون إنّما نعبدهم ليقربونا إلى اللّه زلفى ولكنهم كانوا كاذبين فى هذا القول وقد ذكره سبحانه فى آخر الآية وقال:

«إِنَّ اللَّهَ لَايَهْدِى مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ»، بل هم يعبدونها لا لمجرد التقرب إلى اللّه سبحانه بل لاعتقادهم بالربوبية فيها وان كانت دائرة الربوبية تختلف حسب اختلاف دائرة الشرك.

ص: ۱۷۴

رابعاً: أن الآیة المبارکة: «قُلِ ادْعُوا الَّذِینَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا یَمْلِکُونَ کَشْفَ الضُّرِّ عَنْکُمْ وَلَا تَحْوِیلًا» (۱)

لا تمس المقام أصلًا إذ الآیة صریحة بأنهم کانوا یدعون آلهتهم لکشف الضر عنهم واللّه سبحانه ردهم بأن هؤلاء أعجز من أن ینجزوا لکم طلباتکم، واما الموحد فهو یعتقد أن کشف الضر بید اللّه وأن قضاء الحوائج بیده لا غیر وإنما یلتجأ إلی النبی طالباً منه الدعاء لیکشف اللّه سبحانه بدعائه الضر عنهم کما کانوا یلتجأون إلی النبی فی حال حیاته لکی یکشف اللّه ضرهم بدعائه.

وقد امتلأت الصحاح والمسانید بالروایات الّتی تشیر إلی طلب الناس الاستسقاء من النبی والخلیفة وغیر ذلک.

وان کنت فی شک فیما ذکرنا حول الآیة فانظر إلی ما ذکره ابن کثیر حول تفسیر الآیة، قال: «یقول تعالی قل یا محمد لهؤلاء المشرکین الذین عبدوا غیر اللّه من الأصنام والانداد فارغبوا إلیهم فانهم لا یملکون کشف الضر عنکم أی بالکلیة، ولا تحویلًا أی بأن یحولوه إلی غیرکم، والمعنی أن الّذی یقدر علی ذلک هو اللّه وحده لا شریک له له الخلق

۱- الاسراء: ۵۶.

ص: ۱۷۵

وله الأمر.» (۱) وبـذلك يظهر ما تهـدف إليه الآيـة الثانيـة الّتى استشـهد بها ابن تيميـة على حرمة مطلق الدعاء قال سـبحانه: «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَايَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى السَّمَاوَاتِ وَلَا فِى الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ* وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ» (۲).

فالآية تندد بعمل المشـركين الذين يعتقدون فى أصـنامهم قدرة غيبية يقضون بها حوائج عَبّادهم دون أن يستمدوا من اللَّه سبحانه بشىء وبـذلك رد عليهم بقوله: «لَايَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى السَّمَاوَاتِ وَلَا فِى الأَرْضِ» كما كانوا يعتقـدون أنهم يملكون مقام الشـفاعة وانها فوضت إليهم فرد اللَّه سـبحانه عليهم بقوله: «وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ» واين هـذا من دعاء الموحدين الذين يعتقدون بأن عباد اللَّه لا يملكون شيئاً فى قضاء حوائجهم وانجاز طلباتهم وانّه سبحانه هو قاضى الحاجات ومنجز الدعوات لا غير.

قال ابن كثير: «بين اللَّه تبارك وتعالى ان الاله الواحد الأحد الفرد الصمد هو المستقل بالأمر وحده من غير

۱- تفسير ابن كثير: ۳/ ۴۶.

۲- سبأ: ۲۲- ۲۳.

ص: ۱۷۶

مشارك ولا منازع ولا معارض فقال: «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى من الآلهـة الّتى عبـدت من دونه «لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى السَّمـاوَاتِ وَلَا فِى الأَرْضِ» كما قال تبارك وتعالى.» (۱) فمـا ذكره ابن كثير هو نفس ما يعتقـده الموحـدون ويتلونه كل يوم «قُلِ اللهُمَّ مَالِـكَ الْمُلْـكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُـذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ».

أُمور أربعة فى كلام ابن تيمية:

۱. ان النبى يحقق التوحيد ويسلمه أُمته حتّى انّه لمّا قال له رجل: ما شاء اللَّه وشئت قال: اجعلتنى للَّهندّاً! قل: ما شاء اللَّه وحده، وقال: لا تقولوا ما شاء اللَّه وشاء محمد ولكن: ما شاء اللَّه ثم ما شاء محمد.

۲. نهى عن الحلف بغير اللَّه قال: من كان حالفاً فليحلف باللَّه أو فليصمت، وقال: من حلف بغير اللَّه فقد اشرك.

۳. لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، إنّما انا عبداللَّه وقولوا عبداللَّه ورسوله.

۱- تفسير ابن كثير: ۴/ ۵۳۶.

ص: ۱۷۷

۴. ونهى النبى عن اتخاذ القبور مساجد وقال فى مرض موته: «لعن اللّه اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ولهذا اتفق أئمة المسلمين على أنّه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا تشرع الصلاة عند القبور، بل كثير من العلماء يقول الصلاة عندها باطلة وذلك أن من أكبر اسباب عبادة الاوثان كان تعظم القبور بالعبادة ونحوها.

هذه أُمور أربعة ختم بها ابن تيمية كلامه، وفى كلامه ملاحظات ستمر عليك فأقرأها بامعان ثم اقض بوجدان الحرّ.

الأمر الأوّل: الفصل بين مشيئة اللّه ومشيئة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ب «ثم»

ان مقتضى التوحيد فى التدبير أو مقتضاه فى الأفعال أن كل ما يحدث فى الكون يكون مسبوقاً بمشيئة اللّه سبحانه وإرادته: «سبحان من لا يوجد فى ملكه إلّاما شاءه وأراده»، قال سبحانه: «وَ مَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللّهُ» (۱).

فمشيئة الإنسان مسبوقة بمشيئة اللّه تعالى، فلذلك

۱- الإنسان: ۳۰.

ص: ۱۷۸

نهى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم عن قول القائل ما شاء اللّه وشاء محمد، وأمره بان يقول ما شاء اللّه ثم ما شاء محمد. وهذا صحيح بلا- كلام. إلّاأن الشيخ ومن على منهجه اتخذ ذلك النهى ضابطة كلية فى عامة الموارد الّتى يعطف فيها الرسول على اللّه سبحانه فيقولون بوجوب الفصل بينهما ب «ثم» مع أنّه قياس مع الفارق أوّلًا. وعلى خلاف صريح الذكر الحكيم ثانياً:

قال سبحانه: «وَ مَنْ يُطِعِ اللهَ وَ رَسُولَهُ» (۱).

قال سبحانه: «وَ مَنْ يَعْصِ اللهَ وَ رَسُولَهُ» (۲).

قال سبحانه: «وَ مَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَ رَسُولُهُ» (۳).

قال سبحانه: «وَ قَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ رَسُولُهُ» (۴).

إلى غير ذلك من الآيات الّتى عطف فيها الرسول على اللّه بلا فصل.

۱- النساء: ۱۳.

۲- النساء: ۱۴.

۳- التوبة: ۷۴.

۴- التوبة: ۵۹.

ص: ۱۷۹

الأمر الثانی: الحلف بغیر اللَّه تعالی

اشارة

ان اللَّه سبحانه أقسم فی القرآن الکریم بأشیاء غیر ذاته یربو عددها علی الأربعین نذکر منها: التین، الزیتون، طور سینین، البلد الأمین، اللیل، النهار، الفجر، اللیالی العشر، الشفع، الوتر، الطور، الکتاب المسطور، البیت المعمور، السقف المرفوع، البحر المسجور، وأخیراً فقد حلف سبحانه بعمر النبی حیث قال: «لَعَمْرُکَ إِنَّهُمْ لَفِی سَکْرَتِهِمْ یَعْمَهُونَ» (۱)

ثم ان الغایة من الحلف بهذه الموجودات أحد أمرین:

۱. حث الإنسان وتحفیزه للاهتمام بتلک الموجودات والتفکیر فیها ودراستها وما فیها من الأسرار والقوانین ولذلک یقول سبحانه: «قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِی السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ» (۲)

.

۲. إظهار منزلة المقسم به الّتی یتمتع بها عند اللَّه سبحانه کما هو الحال فی حیاة النبی صلی الله علیه و آله و سلم.

ثم ان وجود هذا الکم الهائل من الاقسام فی القرآن یدل علی جواز الحلف بها، خصوصاً إذا کانت الغایة

۱- الحجر: ۷۲.

۲- یونس: ۱۰۱.

ص: ۱۸۰

هیابراز المنزلهٔ والفضیلهٔ للمقسم به، فلو کان الحلف أمراً قبیحاً ومستهجناً أو کان شرکاً لما حلف سبحانه بها، ولا أقل یذکر شیئاً فی القرآن من أن الحلف بها من خصائصه سبحانه.

والعجب العجاب هو ان المخالف بعد أن واجه هذا المنطق القویم حاول الهروب من المأزق وقال ان المقسم به فی هذه الاقسام هو الرب فیعود معنی قوله سبحانه:

«وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا» (۱)

هو: رب الشمس، ورب ضحاها، کما یرجع معنی الحلف بحیاهٔ النبی إلی الحلف برب حیاهٔ النبی، فیکون معنی قوله: «لَعَمْرُکَ إِنَّهُمْ» أی «لرب عَمرک انهم ...»، ولیس هذا إلّاتأویلًا بلا دلیل وتفسیراً بالرأی واخراجاً للقرآن عن ذروهٔ البلاغهٔ.

الحلف بغیر اللّه فی الصحاح

لقد ورد الحلف بغیر اللّه سبحانه فی کلام النبی صلی الله علیه و آله و سلم وغیره أکثر من مرهٍٔ، ونحن نذکر هنا قلیلًا من هذه الموارد، ونترک الباقی للآخرین:

روی مسلم فی صحیحه: جاء رجل إلی النبی صلی الله علیه و آله و سلم

۱- الشمس: ۱.

ص: ۱۸۱

فقال: یا رسول اللّه، أیّ الصدقة أعظم أجراً؟

فقال: «أما وأبیک لتنبأنّه، أن تُصدّق وأنت صحیح شحیح، تخشی الفقر وتأمل البقاء». (۱) وهناک حدیث آخر رواه مسلم أیضاً فی باب ما هو الإسلام؟ (۲) وإلیک نصّه:

«جاءَ رَجُلٌ إلی رَسُولِ اللّه- مِنْ نَجْدٍ- یَسْألُ عَنِ الإسلام، فَقالَ رَسُولُ اللّه صلی الله علیه و آله و سلم: خَمْسُ صَلَوات فِی الْیَوم وَاللَّیلِ.

فقال: هَلْ عَلَیَّ غَیْرَهُنَّ؟

قال: لا ... إلّاأن تطوَّعَ، وصیامُ شَهْرِ رَمَضان.

فَقالَ: هَلْ عَلَیَّ غَیْرُهُ؟

قالَ: لا ... إلّاأنْ تَطَوّعَ، وذکَرَ له رَسُول اللّه الزَّکاة.

فقال الرَجُلُ: هَلْ علیَّ غیره؟

قال: لا ... إلّاأنْ تَطوَّع.

فَأدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ یَقُولُ: وَاللّه لا أزیدُ عَلی هذا ولا أنْقُصُ مِنْهُ.

۱- صحیح مسلم: ۳/ ۹۴، باب أفضل الصدقة من کتاب الزکاة.

۲- صحیح مسلم: ۱/ ۳۲.

ص: ۱۸۲

فَقالَ رَسُولُ اللَّه: أفْلَحَ– وأبيه– (۱) إن صدَقَ. (۲)– أو قال–: دَخَلَ الجَنَّةَ وأبيه– إنْ صَدَقَ. (۳) وروى أحمد هذا الحديث فى مسنده وفى آخره أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم قال لهذا الرجل «فلعمرى لأن تكلم بمعروف وتنهى عن معروف خير من أن تسكت». (۴) امّا فقهاء المذاهب الأربعة فلم يجمعوا على حرمة الحلف بغير اللّه، فقد قال فقهاء الحنفية والشافعية بأنّه مكروه، واما المالكية فإن لهم فيه قولين أحدهما الحرمة والآخر الكراهة. (۵) بقى الكلام فيما استدل به على الحرمة بحديثين:

۱. قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «من كان حالفاً فليحلف باللّه أو يسكت».

۲. قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «من حلف بغير اللّه فقد أشرك».

اما الحديث الأوّل: فقد حذف صدره، فقد روى أصحاب السنن أن رسول اللّه سمع عمر وهو يقول «وأبى»

۱– أى: قَسَماً بأبيه: فالواو واو القَسم.

۲– صحيح مسلم: ۱/ ۳۲، باب ما هو الإسلام.

۳– صحيح مسلم: ۱/ ۳۲، باب ما هو الإسلام.

۴– مسند أحمد: ۵/ ۲۲۵.

۵– للتفصيل راجع كتاب الفقه على المذاهب الأربعة: ۱/ ۷۵؛ طبع مصر.

ص: ۱۸۳

فقـال: إن اللّه ينهـاكم أن تحلفوا بآبائكم، ومن كان حالفاً فليحلف باللّه أو يسـكت». (۱) والجواب: ان النهى عن الحلف بالآبـاء لأجل أنهم كانوا فى ذلك الزمان مشركين وعبدة للاوثان، فلم تكن لهم حرمة ولا كرامة حتّى يحلف أحدٌ بهم.

وقد جاء فى الحديث عن النبى صـلى الله عليه و آله و سلم قوله: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت» (۲)، وجاء أيضاً قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بامهاتكم ولا بالأنداد» (۳).

فاقتران «الطوغيت» و «الانداد» بالآباء لدليل واضح على أنّ الآباء كانوا يعبدونها.

ومع وجود هـذه القرائن الواضـحة، كيف يمكن أن يقـال بأن النبى صـلى الله عليه و آله و سـلم نهى عن الحلف بالمقـدسات كالكعبة والقرآن وأولياء اللّه تعالى- مع العلم أنّ النهى خاصٌ بمورد معيّن، وأن النبى بنفسه كان يحلف بغير اللّه؟

وأما الحديث الثانى: أعنى قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «من حلف بغير اللّه فقد أشرك».

۱- سنن ابن ماجة: ۱/ ۲۷۷.

۲- سنن النسائى: ۷/ ۸.

۳- مسند أحمد: ۲/ ۳۴.

ص: ۱۸۴

فيظهر المراد منه بنقل الرواية كاملة وهى: جاء ابنَ عُمر رجلٌ فقال: أحِلف بالكعبة؟ قال له: لا، ولكن أحلف بربّ الكَعبة، فإنّ عمر كان يحلف بأبيه فقال له رسولُ اللّه: «لاـ تَحِلف بأبيك فإنّ من حَلف بغير اللّه فقد أشرك». (۱) والحديث- كما ترى- مؤلف من مقاطع، هى:

أ. جاء رجل ابن عمر، فسأله هل يحق له الحلف بالكعبة؟ فنهاه ابن عمر.

ب. انّ عمر كان يحلف بأبيه عند رسول اللّه فنهاه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم عن ذلك.

ج. القاعدة الكلية الّتى ذكرها النبى الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم وهى:

«من حلف بغير اللّه فقد أشرك». (۲) والقدر المتيقّن من كلام الرسول ما إذا كان المحلوف به شيئاً غير مقدّس كالكافر والصنم، بشهادة انّ النبى ذكر ذلك عندما حلف عمر بأبيه الّذى كان كافراً، ولا يمكن انتزاع ضابطة كلية تعمّ الحلف بالكافر والمؤمن. ولكن ابن عمر اجتهد بأنّ قول النبىّ «مَن حلف بغير اللّه فقد أشرك» الّذى

۱- سنن النسائى: ۷/ ۸.

۲- السنن الكبرى: ۱۰/ ۲۹؛ مسند أحمد: ۱/ ۴۷، ۲/ ۳۴، ۶۷، ۷۸، ۱۲۵.

ص: ۱۸۵

ورد فی الحلف بالمشرک- و هو الخطّاب الذی هو والد عمر- اجتهد بأنّه یشمل الحلف بالمقدّسات أیضاً کالکعبة، مع العلم بأنّ کلام النبی صلی الله علیه و آله و سلم قد ورد فی الحلف بالمشرک.

واجتهاده حجة علی نفسه لا علی غیره مع العلم بخطئه فی تطبیق الکبری علی غیر موردها.

الأمر الثالث: قول النبی صلی الله علیه و آله و سلم: «لا تُطرونی کما أطرت النصاری عیسی ابن مریم إنّما انا عبداللَّه، فقولوا عبداللَّه ورسوله»

ما نقله الشیخ حق لا مریة فیه، ولکن لا یوجد علی أدیم الأرض وتحت قبة السماء موحد بعد وصیة النبی صلی الله علیه و آله و سلم یطری النبی صلی الله علیه و آله و سلم کإطراء النصاری والکل یشهدون له بالرسالة والعبودیة ویقولون «اشهد أن محمداً عبده، ورسوله» فما معنی إقحام ذلک الأمر فی ثنایا کلامه، فهل یرید بذلک اتهام الموحدین المسلمین بالشرک وانهم یعتقدون بالوهیة النبی الأکرم أو ربوبیته؟!

الأمر الرابع: نهی النبی صلی الله علیه و آله و سلم عن اتخاذ القبور مساجد

روی البخاری فی کتاب الجنائز عن النبی صلی الله علیه و آله و سلم أنّه قال: «لعن اللَّه الیهود والنصاری اتخذوا قبور

ص: ۱۸۶

أنبیائهم مساجد» (۱).

فی البدأ لابد من دراسة الحدیث من جانبین:

الأوّل: فی صحة مضمونه.

الثانی: ما هو المقصود من الحدیث علی فرض الصحة.

أما الأوّل: فالحدیث وإن رواه البخاری لکن لیس کل ما فی البخاری صحیحاً قطعیاً لا یمکن تطرق الخطأ إلیه مع أنّه ومن روی عنه فرد غیر معصوم، ولذلک نحن نشک فی صحة الحدیث من جانب التاریخ وبشهادة القرآن علی سیرة الیهود، وذلک لأن سیرة الیهود کما هو معروف هی القسوة مع الأنبیاء وانهم کانوا یقتلون أنبیاءهم واحداً بعد الآخر فکیف یحترمون أنبیاءهم ویتخذون قبورهم مساجد وهذا هو القرآن الکریم یصفهم بقوله: «لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِینَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِیرٌ وَنَحْنُ أَغْنِیَاءُ سَنَکْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِیَاءَ بِغَیْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِیقَ* ذَلِکَ بِمَا قَدَّمَتْ أَیْدِیکُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَیْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِیدِ* الَّذِینَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَیْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّی یَأْتِیَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْکُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَکُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِی بِالْبَیِّنَاتِ وَبِالَّذِی قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ

۱- صحیح البخاری: ۲/ ۱۱۱.

ص: ۱۸۷

کُنْتُمْ صَادِقِینَ» (۱)

. کل ذلک یورث الشکّ فی صحة مضمونه.

وأما الجانب الثانی: فلو افترضنا صحة المضمون لکن التعرف علی مغزی هذا الحدیث یتوقف علی معرفة ما کان یقوم به الیهود والنصاری عند قبور أنبیائهم، ذلک لأن النبی علیه السلام إنّما نهی عن القیام بما کان یقوم به الیهود والنصاری، فإذا عرفنا عملهم، عرفنا بالتبع الحرامَ المنهیّ عنه.

الثانی: الحدیث احتمالات ثلاثة یُحتمل ان یکون هی المراد لا مجرد الصلاة عند قبور الأنبیاء للَّهسبحانه:

۱. اتخاذ قبور الأنبیاء قبلة لهم یصدّهم عن التوجه إلی القبلة الواجبة.

۲. یجعلون انبیاءهم شرکاء مع اللَّه سبحانه فی العبادة.

۳. یعبدون أنبیاءهم بجوار قبورهم یدل أن یعبدوا اللَّه الواحد القهار.

ویدل علی أن المراد أحد هذه الاحتمالات الثلاثة ما رواه مسلم عن زوجتی النبی صلی الله علیه و آله و سلم: أم حبیبة وأم سلمة بأنهما رأتا تصاویر فی احدی کنائس الحبشة قال النبی صلی الله علیه و آله و سلم:

۱- آل عمران: ۱۸۱– ۱۸۳.

ص: ۱۸۸

«إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجداً وصوّروا فيه تلك التصاوير ...». (۱) فالهدف من وضع صور الصالحين بجوار قبورهم إنّما كان لأجل إتّخاذ القبر والصورة قبلة لهم، أو كانتا كالصنم المنصوب يُعبدان ويُسجد لهما.

إن هذا الاحتمال- اللائح من الحديث- ينطبق مع ما عليه المسيحيون من عبادة المسيح ووضع التماثيل والتماثيل المجّسمة له وللسيدة مريم عليهما السلام.

ومع هذا المعنى فلا يمكن الاستدلال بهذه الأحاديث على حرمة بناء المسجد على قبور الصالحين أو بجوارها واقامة الصلاة فيها من دون أن يكون فى ذلك أىّ شىء يوحى بالعبودية، كما عليه المسيحيون.

قال القسطلانى: إنّما صوّر أوائلهم الصُّور ليستأنسوا بها ويتذكّروا أفعالهم الصالحة، فيجتهدوا كاجتهادهم ويعبدوا اللَّه عند قبورهم، ثمّ خَلَفهم قوم جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أنّ أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويُعظّمونها، فحذَّر النبى عن مثل ذلك.

إلى أن يقول عن البيضاوى:

۱- صحيح مسلم: ۲/ ۶۶، كتاب المساجد.

ص: ۱۸۹

قال البیضاوی: لمّا کانت الیهود والنصاری یسجدون لقبور الأنبیاء تعظیماً لشأنهم و یجعلونها قبلة یتوجّهون فی الصلاة نحوها واتّخذوها أوثاناً، مُنع المسلمون عن مثل ذلک، فأمّا من اتّخذ مسجداً فی جوار صالح وقصد التبرُّک بالقرب منه- لا للتعظیم ولا للتوجّه إلیه- فلا یدخل فی الوعید المذکور. (۱) ولیس القسطلانی منفرداً فی هذا الشرح، بل ذهب إلی ذلک السندی- شارح السُّنن للنسائی- حیث یقول:

«اتخذوا قبور أنبیائهم مساجد» أی: قبلة للصلاة یُصلّون إلیها، أو بنوا مساجد علیها یُصلّون فیها. ولعلّ وجه الکراهة أنّه قد یُفضی إلی عبادة نفس القبر. (۲) ویقول أیضاً:

یُحذّر(النبی) أُمّته أن یصنعوا بقبره ما صنع الیهود والنصاری بقبور أنبیائهم من اتّخاذهم تلک القبور مساجد، إمّا بالسجود إلیها تعظیماً لها، أو بجعلها قبلة یتوجّهون فی

۱- إرشاد الساری فی شرح صحیح البخاری: ۱/ ۴۳۰. وقد مال إلی هذا المعنی ابن حجر- فی فتح الباری: ۳/ ۲۰۸ حیث قال: إنّ النهی إنّما هو عمّا یؤدّی بالقبر إلی ما علیه أهل الکتاب، أمّا غیر ذلک فلا إشکال فیه.

۲- السنن للنسائی: ۲/ ۲۱، مطبعة الأزهر.

ص: ۱۹۰

الصلاة إليها. (۱) واما إذا خلت الصلاة عند قبورهم عن هذه الصفة، تصبح الصلاة عند قبورهم بلا اشكال.

والمسلمون يصلون فی المسجد النبوی عبر قرون، وفيه قبر النبی الأعظم صلی الله عليه و آله و سلم، دون ان يتخذه أحد منهم قبلة، أو يسجد له، أو يعبده، فما هذه الهمهمة والدمدمة حول مثوی خير البشر!!

الاستشهاد بكلام ابن القيّم

ان الشيخ ابن باز استشهد أوّلًا بكلام لابن تيمية ثم استشهد مرة أُخری بكلام تلميذه ابن القيم، وكأنّه لم يجد بين العلماء من يدعم كلامه إلّاهذين الشخصين أحدهما مؤسس المنهج والثانی تلميذه، وليس فی ما نقله عن الثانی شیء جديد بل لا صلة له بالموضوع، حيث قال:

والشرك فی الافعال كالسجود لغيره والطواف بغير بيته وحلق الرأس عبودية وخضوعاً لغيره، وتقبيل الاحجار غير الحجر الأسود الّذی هو عين اللّه فی الأرض وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها.

۱- نفس المصدر السابق.

ص: ۱۹۱

وانت خبير انّه ليس بين المسلمين من يسجد لغير اللَّه سبحانه أو يطوف بغيربيته وقد افتى العلماء بحرمة السجود لغيره حتّى وان كان احتراماً وتعظيماً واما تقبيل الاحجار فقد علمت أنّه ليس إلّامن باب الشوق إلى الحبيب وتكريمه وتعزيره، وهى حالة فطرية يتمسك بها بنو البشر إذ عندما يريدون ان يبرزوا حبهم لأحد من الناس فليس بالضرورة أن يكرموه بعينه مباشرة بل يكتفون بتكريم مايحيط به وينتسب إليه كالدار والجدران كما قال قيس صاحب ليلى العامرية:

امر على الديار ديار ليلى اقبل ذا الجدار ولا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

ثم انّ ابن القيّم نقل فى كلامه عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم أنّه قال: لعن اللَّه زوّارات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُرج.

فلو صحّ الحديث فهو محمول على النساء اللواتى يتركن وظيفتهن الأساسية المتعلقة بالبيت والزوج ويقمن بالاختلاف إلى المقابر، كما أن ذيله محمول على من اسرج

ص: ۱۹۲

بلا فائدة منه الّذى يُعدّ إسرافاً. ولو اسرج سراجا لقراءة القرآن لصاحب القبر فهو عمل مبارك على أن الرواية ناظرة إلى مطلق القبور ولا صلة لها بقبر اشرف الخليقة وأولاده الطاهرين الذين اذهب اللّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وقد دعى النبى الناس إلى زيارة قبره وقال أن من حج ولم يزرنى فقد جفانى، وهذه الرواية اخرجها غير واحد من أئمة الحديث.

يقول ابن حجر: اختلف فى النساء فقيل دخلن فى عموم الأذن وهو قول الأكثر ومحله ما إذا آمنت الفتنة ثم قال ويؤيد الجواز حديث الباب(باب زيارة القبور) وقال القرطبى: هذا اللعن إنّما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصفة من المبالغة ولعل السبب ما يفضى إليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج وما ينشأ منهن من الصياح ونحو ذلك فقد يقال: إذا امن جميع ذلك فلا مانع من الأذن .... (۱) وقد افتى الفقهاء فى المذاهب الأربعة بأن زيارة قبر النبى من أفضل المندوبات واما الحديث فقد فصّل الكلام فيه السبكى فى طرقه فى «شفاء السقام». فمن اراد التوسع والوقوف على الروايات الواردة فى استحباب زيارة

۱- فتح البارى: ۳/ ۱۴۹، باب زيارة القبور؛ وعمدة القارئ: ۸/ ۶۹- ۷۰.

ص: ۱۹۳

النبی صلی الله علیه و آله و سلم فلیرجع إلی «شفاء السقام» للسبکی (۱)، وحظ أیضاً؛ «وفاء الوفاء» للسمهودی، و «إحیاء العلوم» للغزالی، و «شرح الشفاء» للقاضی، إلی غیر ذلک من الکتب المؤلفة فی هذا المجال.

استنتاج الشیخ

ان الشیخ بعد أن نقل کلام الرجلین خرج بالنتیجة التالیة قائلًا:

یتضح لکم ولغیرکم من القراء أن ما یفعله الجهال من الشیعة وغیرهم عند القبور من دعاء أهلها والاستغاثة بهم والنذر لهم والسجود لهم وتقبیل القبور طلباً لشفاعتهم، ونفعهم لمن قبّلها، کل ذلک من الشرک الأکبر لکونه عبادة لهم والعبادة حق اللّه وحده کما قال اللّه تعالی:

«وَاعْبُدُوا اللهَ وَ لَا تُشْرِکُوا بِهِ شَیْئًا» (۲).

یلاحظ علیه: انه نسب إلی الشیعة الأُمور التالیة:

أ. دعاء أهل القبور والاستغاثة بهم.

۱- شفاء السقام: ۶۵- ۱۱۵، الطبعة الرابعة المحققة.

۲- النساء: ۳۶.

ص: ۱۹۴

ب. النذر لهم.

ج. السجود لهم.

د. تقبيل القبور طلباً لشفاعتهم.

ثم وصف الكل بالشرك الأكبر الّذى هو عبارة أُخرى عن الارتداد والخروج عن الدين.

اما الأمر الأوّل: فقد عرفت الادلة الكافية من أنّه لا مانع من دعاء النبى صلى الله عليه و آله و سلم والاستغاثة به لأجل طلب الدعاء منه لأن له عند اللَّه مقاماً محموداً يُقبل دُعاؤه وتُستجاب دعوته خصوصاً إذا استغفر للمستغيث قال سبحانه: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً» (١).

نعم: الاستغاثة بالنبى بما أنّه إله ورب وبيده مصير الداعى كلّاً أو جزءً، هو عبادة له، ولكن لا يوجد بين المسلمين من يعتقد بهذا.

وأما الثانى: أعنى النذر لهم فقد خفى عن الشيخ حقيقة النذر حيث تصور انهم ينذرون للنبى مكان النذر للَّه مع أنهم ينذرون للَّهسبحانه وإنّما يهدون ثواب عملهم للنبى والأئمة عليهم السلام.

١- النساء: ۶۴.

ص: ۱۹۵

من الأُمور الرائجة بين المسلمين انهم يقومون بالنذر للنبى صلى الله عليه و آله و سلم ويقول الناذر للّهعلىّ إذا شفى اللّه مريضى أن اذبح شاةً للنبى، وقد زعم الشيخ ان النذر للنبى شرك لأنّه عبادة له ولكنه غفل عن مفاد الصيغة ولأجل ايضاحها نقول:

ان اللام فى قوله «للّه علىّ» يراد بها الغاية الّتى نتيجتها التقرب إلى اللّه سبحانه، ولكن اللام الثانية فى قوله:

«للنبى» للانتفاع واهداء الثواب إليه.

وعند ذلك كيف يكون هذا القول شركاً وعبادة للنبى صلى الله عليه و آله و سلم ونحن نرى مثل ذلك الاستعمال فى الذكر الحكيم فتارة يذكر القرآن الكريم عن أم مريم قولها: «إِنِّی نَذَرْتُ لَکَ مَا فِی بَطْنِی مُحَرَّرًا» (۱)

، وفى الوقت نفسه يذكر فى حكم الصدقات ويقول: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ» (۲)

.

وعلى ضوء ذلك فاللام فى قوله «للّه علىّ» مثل اللام فى قوله: «إِنِّی نَذَرْتُ لَکَ»، كما أن اللام فى قوله «للنبى» مثلها فى: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ» ولا أظن فيمن تدبر فيما ذكرنا أن يعتبر النذر للنبى شركاً.

وقد ورد نظير ذلك فيما صحّ عن سعد أنّه سأل النبى

۱- آل عمران: ۳۵.

۲- التوبة: ۶۰.

ص: ۱۹۶

قال: يانبى اللّه ان أمى افتلتت [أى ماتت] وأعلم أنّها لو عاشت لتصدقت، أفإن تصدقت عنها أينفعها ذلك؟

فقال صلى الله عليه و آله و سلم: نعم.

فسأل النبى: أى الصدقة انفع يا رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم؟

قال: الماء. فحفر بئراً وقال: هذه لأُم سعد. (۱) فالمسلمون بعملهم هذا سعديون لا وثنيون. لا يريدون عبادة المولى بل يريدون ايصال الثواب إليهم كما فعل سعد.

واما الأمر الثالث: أعنى السجود للنبى والأئمة فلا أقول فيه شيئاً إلّاكونه على خلاف الواقع.

واما ما ربما يشاهد من بعضهم السجود فى المشاهد فما هو إلّاسجود للّهشكراً له لتوفيقه لزيارة النبى وخلفائه.

كان المترقب من المفتى العام أن لا ينسب شيئاً إلى أُمة كبيرة إلّاأن يتحقق منه بواسطة من يثق به.

واما الأمر الرابع: اعنى تقبيل القبور طلباً لشفاعتهم أو نفعهم لمن قبلها فهو تفسير بما لا يرضى به صاحبه إذ ليس التقبيل لغاية طلب شفاعتهم بل لأجل التكريم

۱- سنن أبى داود: ۲/ ۱۳۰ برقم ۱۶۸۱، باب فى فضل سقى الماء؛ السيرة الحلبية: ۲/ ۵۸۳.

ص: ۱۹۷

والتعزيز فقط، وأمّا طلب الشفاعهٔ فهو أمر صحيح يقوم به كل من يعترف بانّ النبى الكريم هو الشفيع الاعظم فيطلب منه الشفاعهٔ بمعنى انّه يطلب منه الدعاء كما كان يطلبه منه حيّاً، فاذا كان طلب الشفاعهٔ بهذا المعنى فى حالهٔ الحياهٔ جائزاً ولم يكن شركاً فهو كذلك بعد رحيله إذ لا تختلف حقيقهٔ الأمر بالحياهٔ والموت.

ثم ان الشيخ رتب على هذه الأُمور الأربعهٔ بأنّها الشرك الأكبر وهو استنتاج باطل لا يقوم على دليل إذ كيف تكون هذه الاعمال عبادهٔ لهم مع أن العبادهٔ تتقوم بعنصرين احدهما الاعتقاد بربوبيهٔ من يدعوه اويستغيث به وليس بين المسلمين من يعتقد بذلك.

واما الاستشهاد بقوله تعالى: «وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً» (۱)

فهو فى غير محله لما عرفت من أنّه ليس كل تعظيم شركاً. وليس كل تكريم عبادهٔ لغيره سبحانه.

التوسل بعم النبى

قال الشيخ: واما توسل عمر والصحابهٔ بدعاء العباس فى الاستسقاء وهكذا توسل

۱- النساء: ۳۶.

ص: ۱۹۸

معاویـة فی الاستسـقاء بـدعاء یزید بن الأسود فذلک لا بأس به لأنّه توسل بدعائهما وشـفاعتهما ولا حرج فی ذلک. ولهذا للمسـلم أن یقول لأخیه:

أدع اللَّه لی وذلک دلیل من عمل عمر والصـحابة ومعاویة علی أنّه لا یتوسل بالنبی صـلی الله علیه و آله و سـلم فی الاستسقاء ولا غیره بعد وفاته صـلی الله علیه و آله و سـلم ولو کان ذلک جائزاً لما عدل عمر الفاروق والصـحابة عن التوسل به صلی الله علیه و آله و سلم إلی التوسل بدعاء العباس ولما عدل معاویة التوسل به صلی الله علیه و آله و سلم إلی التوسل بیزید بن الأسود وهذا شیء واضح بحمد اللَّه.

روی البخاری قال: کان عمر ابن الخطاب إذا قُحطوا استسـقی بالعباس بن عبـد المطلب رضـی الله عنه فقال: اللهم انا کنا نتوسل إلیک بنبینـا فتسـقینا وانا نتوسل إلیک بعم نبینا فاسـقنا قال: فیسـقون. (۱) والحـدیث صـریح فی أن عمر توسل بـذات العباس ومکانته وجعله الوسـیلة بینه وبین اللَّه ولما کان ظاهر الحـدیث مخالفاً لما علیه الشـیخ من تحریم التوسل بـذات الشـخص حاول ان یؤوّل الحـدیث فی کلامه، وقال: بأن

۱- صحیح البخاری: ۲/ ۳۲، باب صلاة الاستسقاء.

ص: ۱۹۹

الخليفة توسل بدعاء العباس لا بشخصه ومنزلته.

لا أظن أن أحداً يحمل شـيئاً من الانصاف يسوّغ لنفسه أن يفسّـر الحديث بما ذكره لأنّه خلاف ما فهمه الآخرون من الحديث وخلاف القرائن الموجودة فی الحديث، اما الأوّل: فهذا هو الرجالی الكبير ابن الأثير يقول: واستسـقی عمر بن الخطاب بالعباس، فی عام الرّمادة لما اشتد القحط، فسقاهم اللّه تعالی به وأخصب الأرض، فقال عمر: هذا- واللّه- الوسيلة إلی اللّه والمكان منه. (۱) وقال حسّان الشاعر:

سأل الإمامُ وقد تتابع جد بنا فسقی الغمام بغُرّة العباس

عمّ النبی وصنو والده الذی وَرث النبی بذاك دون الناسِ

أحيی الإلهُ به البلادَ فأصبحت مُخضرَّة الأجناب بعد الياس

ولمّا سُقی الناس طفقوا يتمسّحون بالعباس ويقولون هنيئاً لك ساقی الحرمين.

۱- اسد الغابة: ۳/ ۱۱۱.

ص: ۲۰۰

إن التأمل فى هذه القضية التاريخية والّتى ذكر بعضاً منها البخارى فى صحيحه، يؤكد على أن من مصاديق «الوسيلة» هو التوسل بأصحاب الجاه والمنزلة عند اللَّه، حيث ينتج منه التقرّب إلى اللَّه وتكريم الداعى والمتوسل.

وأى تعبير أوضح من قوله «هذا- واللَّه- الوسيلة إلى اللَّه والمكان منه».

يقول القسطلانى(ت ۹۲۳ ه):

«إن عمر- لما استسقى بالعباس- قال: «أيها الناس إن رسول اللَّه كان يرى للعباس ما يرى الولَدُ للوالِدِ، فاقتدوا به فى عمّه واتخذوه وسيلةً إلى اللَّه تعالى».

وفى ذلك يقول العباس بن عتبة بن أبى لهب:

بعمى سقى اللَّه الحجاز وأهله عشية يستسقى بشيبته عمر

توجه بالعباس فى الجدب راغباً إليه فما إن رام حتّى أتى المطر

ومنا رسول اللَّه فينا تراثه فهل فوق هذه للمفاخر مفتخر (۱)

۱- المواهب اللدنيّة: ۴/ ۲۷۷، تحقيق صالح أحمد التاجى.

ص: ۲۰۱

ان الاحتجاج بترك الصحابة عملًا من الاعمال وانهم مثلًا:(لم يتوسلوا بالنبى بعد رحيله وإنّما توسلوا بعم النبى العباس) من غرائب الكلام، إذ لم يقل أحدٌ بإن ترك الصحابة فعلًا من الافعال. دليل على حرمته، وإنّما يحتج بفعلهم على جوازه، لا بتركهم.

فإذاً فما معنى قول الشيخ بأن الصحابة لم يتوسلوا بالنبى بعد رحيله، مضافاً إلى أنهم توسلوا به بعد رحيله كما تقدم ذكره.

الأمر الثانى: أعنى لو كان التوسل بالنبى- بعد رحيله- جائزاً لما عُدِل إلى التوسل بالعباس فقد خفى على القائل وجه العدول وليس هو إلّاأن الخليفة حاول ان يوسط بين المستسقين وربّهم إنساناً مقرباً يكون شريكهم فى الحياة ومثيلهم فى المصير، واما النبى الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم فهو وان ذا مكانة عالية لكنه لأجل رحيله لم يكن(فى زمان الاستسقاء) شريكهم وكأن المتوسلين بالعباس يقولون بلسان الحال: ربنا وسيدنا ان لم نكن أهلا للرحمة فعم النبى أهلًا لها فانزل رحمتك الواسعة لأجله، ومن المعلوم ان

ص: ۲۰۲

الرحمهٔ إذا نزلت فهی ستشمل العام والخاص ومن سأل ومن لم يسأل.

تعليم النبىّ التوسل بشخصه

اشارهٔ

ان النبی صلی الله علیه و آله و سلم هو الّذی علّم التوسل بمکانه وشخصه وذلک فی الدعاء الّذی علمه صلی الله علیه و آله و سلم للضریر، وإلیک نص الحدیث فلیتأمل القارئ فیه فهل ان النبی صلی الله علیه و آله و سلم کان قد أمر الضریر أن یتوسل بدعاء النبی أم أنّه قد أمره بالتوسل بشخص النبی ومقامه وشخصیته. ومن المعلوم ان شخصه ومکانته عند اللّه، محفوظهٔ حیّاً ومیتاً وإلیک الحدیث:

۱. روی أکثر من واحد من المحدثین «۱» کالنسائی والبیهقی والطبرانی والترمذی والحاکم- وقد اتفقوا علی صحهٔ الحدیث-: أن رجلًا ضریراً أتی إلی النبی صلی الله علیه و آله و سلم فقال:

ادع اللّه أن یعافینی.

فقال صلی الله علیه و آله و سلم: ان شئت دعوتُ، وإن شئت صبرت وهو خیر؟

ص: ۲۰۳

قال: فادعُهُ، فأمره أن یتوضأ فیُحسن وضوءهُ ویصلی رکعتین ویدعو بهذا الدعاء: «اللهم إنی اسألک وأتوجه إلیک بنبیک نبی الرحمهٔ یا محمد انی اتوجه بک إلی ربی فی حاجتی لتقضی، اللهم شفعه فیّ».

ان الدعاء الّذی علمه النبی صلی الله علیه و آله و سلم تضمّن التوسل بذات النبی بصراحهٔ تامهٔ.

فیکون ذلک دلیلًا علی جواز التوسّل بالذات، وقداسته محفوظهٔ وهو حیّ عند اللّه کحیاهٔ الشهداء.

وإلیک الجمل والعبارات التی هی صریحهٔ فی المقصود:

۱. اللّهمّ إنّی أسألک وأتوجّه إلیک بنبیّک

إنّ کلمهٔ «نبیّک» متعلّقهٔ بفعلین، هما: «أسألک» و «أتوجّه إلیک»، والمراد من النبی صلی الله علیه و آله و سلم نفسه القدسیهٔ وشخصیته الکریمهٔ لا دعاؤه.

وتقدیر کلمهٔ «دعاء» قبل لفظ «بنبیک» حتّی یکون المراد هو «أسألک بدعاء نبیّک، أو أتوجّه إلیک بدعاء نبیّک» تحکّم وتقدیر بلا دلیل، وتأویل بدون مبرّر، ولو أنّ محدثاً ارتکب مثله فی غیر هذا الحدیث لرموه بالجهمیهٔ والقدریّهٔ.

ص: ۲۰۴

۲. محمد نبی الرحمهٔ

لکی یتّضح أنّ المقصود هو السؤال من اللَّه بواسطهٔ النبی صلی الله علیه و آله و سلم وشخصیته فقد جاءت بعد کلمهٔ «نبیک» جملهٔ «محمد نبی الرحمهٔ» لکی یتّضح نوع التوسّل والمتوسّل به بأکثر ما یمکن.

۳. یا محمد إنّی أتوجّه بک إلی ربّی

إنّ جملهٔ «یا محمد إنّی أتوجّه بک إلی ربّی» تدلّ علی أنّ الرجل الضریر- حسب تعلیم الرسول- اتّخذ النبی نفسه، وسیلهٔ فی دعائه أیأنّه توسّل بذات النبی لا بدعائه صلی الله علیه و آله و سلم.

۴. وشفّعه فیّ

إنّ قوله: «وشفّعه فیّ» معناه یا رب اجعل النبی شفیعی، وتقبّل شفاعته فی حقّی، ولیس معناه تقبل دعاءه فی حقّی، فإنّه لم یرد فی الحدیث أنّ النبی دعا بنفسه حتّی یکون معنی هذه الجملهٔ: استجب دعاءه فی حقّی، ولو کان هناک دعاء من النبی لذکره الراوی؛ إذ لیس دعاؤه صلی الله علیه و آله و سلم من الأُمور غیر المهمهٔ حتّی یتسامح الراوی فی حقّه. وحتّی لو فرضنا أنّ معناه «تقبّل دعاءه فی حقّی» فلا یضر ذلک

ص: ۲۰۵

بالمقصود أیضاً، إذ یکون علی هذا الفرض هناک دعاءان:

دعاء الرسول ولم یُنقل لفظه، والدعاء الذی علّمه الرسول للضریر، وقد جاء فیه التصریح بالتوسّل بذات النبی وشخصه وصفاته، ولیس لنا التصرّف فی الدعاء الذی علّمه الرسول للضریر، بحجّة أنّه کان هناک للرسول دعاء.

وأخیراً نقول: کیف یقول الشیخ بن باز فی رسالته مخاطباً للشیخ واعظزاده: «والواجب علی المسلمین الاتباع والتقیّد بالشرع، والحذر من البدع القولیة والعملیّة ولهذا لم یترک الصحابة- رضی اللّه عنهم- بشعر الصدیق أو عرقه أو وضوئه ولا بشعر عمر أو عثمان أو علی أو عرقهم أو وضوئهم ... ولا ـ بعرق غیرهم من الصحابة وشعره ووضوئه لعلمهم بأنّ هذا أمر خاص بالنّبیّ صلی اللّه علیه وسلّم ولا یقاس علیه غیره فی ذلک.» ثمّ نَسی بأنّ جمعاً من الناس فی مشهده ومرآه یتبرّکون بفضول طعامه وقد أقرّ الشیخ نفسه بترک هؤلاء الناس من فضول طعامه فی رسالته؟!» (۱) إلی هنا تمت مناقشة المواضع الرئیسیة فی رسالة الشیخ ابن باز.

۱- انظر: ص ۱۶ و ۴۰ س هذا الکتاب.

ص: ۲۰۶

اسأل اللَّه سبحانه ان ینور قلوبنا بنور الإیمان ویجعلنا اخوانا یسدّد بعضنا البعض الآخر، ویرزقنا فهم الدین واخلاص العمل، والتحرز عن الخوض فی دماء المسلمین برمی البعض بالشرک تارة وبالبدعة أُخری، وان یکون المعیار فی الدخول إلی حظیرة الإسلام والخروج عنها قول نبینا صلی الله علیه و آله و سلم: «من شهد أن لا اله إلّااللَّه واستقبل قبلتنا، وصلی صلاتنا، وأکل ذبیحتنا، فذلک المسلم، له ما للمسلم وعلیه ما علی المسلم». (۱) وان نجعل نصب اعیننا قول نبینا صلی الله علیه و آله و سلم کما أخرج مسلم عن نافع عن ابن عمر: ان النبی صلی الله علیه و آله و سلم قال: إذا کفّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما. (۲) واخیراً أقول أنّه لیس ممّا یرتضیه اللَّه ورسوله أن یُرمی المسلمون الأخیار، الطافحة قلوبهم بأنوار التوحید، والمفعمة افئدتهم بمحبة اللَّه ومودة رسوله، بالشرک والکفر، لا لشیء إلّالشبهة أو شبهات حصلت للرّامین، من دون أن

۱- جامع الأُصول لابن الأثیر: ۱/ ۱۵۸.

۲- صحیح مسلم: ۱/ ۵۶، باب من قال لاخیه المسلم یا کافر، من کتاب الإیمان.

ص: ۲۰۷

یحققوا فی الأمر، أو یستمعوا إلی أدّلهٔ الطرف الآخر أو یعیروا الکتاب والسنهٔ وسیرهٔ السلف والخلف من الصحابهٔ والتابعین والعلماء والمجاهدین الاهتمام الکافی والعنایهٔ المناسبهٔ اللازمهٔ.

والحمد للّٰهرب العالمین

جعفر السبحانی

قم المقدسهٔ

۱۷/ صفرالمظفر/ ۱۴۲۸ ه

ص: ۲۰۸

ص: ۲۰۹

فهرس المصادر

۱– الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، يحيى بن شرف النورى، بيروت، دار الكتاب العربى، ط. الرابعة، ۱۴۰۴ ق.

۲– الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ، محمّد بن عبد الرحمن السخاوى، مطبعة الترقى، دمشق، ۱۳۴۹ ه.

۳– الأمالى، محمّد بن النعمان(الشيخ المفيد)، تحقيق على أكبر الغفارى، منشورات جماعة المدرسين، قم ۱۴۰۳.

۴– بيان زغل العلم والطلب، محمّد بن محمّد الذهبى، مطبعة توفيق، دمشق.

۵– التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول، منصور على ناصف، دار إحياء التراث العربى، ط. الرابعة، ۱۴۰۶.

۶– تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد الذهبى، تحقيق: عمر عبد السلام تدمرى، بيروت، دار الكتاب العربى، ۱۴۰۹ ق.

ص: ۲۱۰

۷- تفسیر القرآن العظیم، اسماعیل بن کثیر، بیروت، دار المعرفهٔ، ۱۴۰۲ ه.

۸- تهذیب الأحکام فی شرح المقنعه، محمّد بن الحسن الطوسی، تهران دار الکتب الاسلامیهٔ، ۱۳۹۰ ه.

۹- تهذیب الکمال فی أسماء الرجال، جمال الدین یوسف المزی، تحقیق: بشار عوّاد معروف، بیروت، مؤسسهٔ الرسالهٔ، ۱۴۱۳.

۱۰- تهذیب التهذیب، أحمد بن علی بن حجر العسقلانی، تحقیق:

مصطفی عبد القادر عطا، بیروت، دار الکتب العلمیهٔ، ۱۴۱۵.

۱۱- جامع الاصول فی أحادیث الرسول، محمّد ابن الاثیر الجزری، تحقیق عبدالقادر الارناؤوط، بیروت، دار الفکر، ۱۴۰۳ ق.

۱۲- جامع البیان عن تأویل آی القرآن، محمد بن جریر الطبری، بیروت، دار الفکر، ۱۴۰۸ ه.

۱۳- الجامع الصغیر فی أحادیث البشیر النذیر، جلال الدین السیوطی، بیروت، دار الکتب العلمیهٔ.

۱۴- جامع العلوم والحکم، ابن رجب الحنبلی، بیروت، دارالجیل، ۱۴۰۷ ه.

۱۵- الجواب الکافی لمن سأل عن الدواء الشافی، ابن قیم الجوزیهٔ، تحقیق: ابن عالیهٔ، بیروت، دار الکتاب العربی، ط.

ص: ۲۱۱

الرابعهٔ، ۱۴۱۲ ق.

۱۶- الجوهر المنظم فی زیارهٔ القبر المکرم، علی بن أبی بکر الهیثمی، القاهرهٔ، نشر دار جوامع الکلم.

۱۷- دفع الشبهة عن الرسول والرسالة، أبو بکر محمد بن عبد المؤمن الحصنی، تحقیق: جماعهٔ من العلماء، بیروت، دار إحیاء الکتاب العربی، ط. الثانیهٔ، ۱۴۱۸.

۱۸- ذخائر العقبی، محب الدین الطبری، تحقیق اکرم البوشی، مکتبهٔ الصحابهٔ، جدّهٔ، ۱۴۱۵ ه.

۱۹- روح المعانی فی تفسیر القرآن العظیم والسبع المثانی، محمود الآلوسی، تصحیح: محمد حسن العرب، دار الفکر، ۱۴۱۷ ق.

۲۰- الروح فی الکلام علی أرواح الأموات والأحیاء بالـدلائل من ۲۱- الکتاب والسـنّهٔ والآثار وأقوال العلماء، ابن قیّم الجوزیهٔ، تحقیق: محمد علی القطب، المکتبهٔ العصریهٔ، بیروت، ۱۴۲۲ ه.

۲۲- سلسلهٔ الأحادیث الصحیحهٔ، محمد ناصر الدین الألبانی، بیروت، المکتب الإسلامی، ط. الرابعهٔ، ۱۴۰۵.

۲۳- سلسلهٔ الأحادیث الضعیفهٔ والموضوعهٔ، محمد ناصر الدین الألبانی، الریاض، مکتبهٔ المعارف، ط. الخامسهٔ، ۱۴۱۲.

۲۴- سنن ابن ماجه، محمد بن یزید القزوینی، تحقیق محمّد فؤاد

ص: ۲۱۲

عبدالباقی.

۲۵- سنن الدارمی، أبو محمد عبد اللّه بن بهرام الدارمی، دار إحیاء السنّهٔ النبویهٔ.

۲۶- سیر أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبی، باشراف: شعیب الأرنؤوط، بیروت، مؤسسهٔ الرسالهٔ، ط. الرابعهٔ، ۱۴۰۶.

۲۷- السیرهٔ النبوّیّهٔ، ابن هشام، تحقیق مصطفی السقّا وغیره، بیروت، دار احیاء التراث العربی.

۲۸- شرح نهج البلاغهٔ، ابن ابی‌الحدید، تحقیق محمّدابوالفضل ابراهیم، دار احیاء الکتب العربیهٔ، ۱۳۸۷ ه.

۲۹- شعب الإیمان، أبو بکر أحمد بن الحسین البیهقی، تحقیق:

محمد السعید زغلول، بیروت، دار الکتب، ۱۴۱۰ ق.

۳۰- الشفا بتعریف حقوق المصطفی، قاضی عیاض، تحقیق: علی محمد البجاوی، دار الکتاب العربی.

۳۱- شفاء السقام فی زیارهٔ خیر الأنام، تقی الدین السبکی، الطبعهٔ الرابعهٔ، ۱۴۱۹ ق.

۳۲- صحیح البخاری، محمد بن إسماعیل البخاری، بیروت، دار إحیاء التراث العربی.

۳۳- صحیح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقیق: محمد فؤاد عبد الباقی، بیروت، دار إحیاء التراث العربی.

ص: ۲۱۳

۳۴- طبقات الشافعية الكبری، عبد الوهاب بن علی السبكی، تحقيق: محمد الحلو، بيروت ۲، دار إحياء الكتاب العربی.

۳۵- الطبقات الكبری، محمد بن سعد، بيروت، دار صادر.

۳۶- علل الشرايع، محمّد بن علی الصدوق، قم، مكتبة الداوری، ۱۳۸۵ ه.

۳۷- العلل ومعرفة الرجال، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق:

وصی اللَّه عباس، المكتب الإسلامی، بيروت، ۱۴۰۸ ه.

۳۸- عمدة القارئ شرح صحيح البخاری، البدر العينی، بيروت دار الفكر.

۳۹- الفتاوی الحديثة، علی بن أبی بكر الهيثمی، بيروت، دار المعرفة.

۴۰- فتح الباری بشرح صحيح البخاری، أحمد بن علی بن حجر، باشراف: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

۴۱- الفتوحات الربّانية علی الأذكار النواوية، محمد بن علّان، المكتبة الإسلامية.

۴۲- فقه السيرة النبوية، سعيد رمضان العالم البوطی، دمشق، دار الفكر، ط. العاشرة، ۱۴۱۱ ق.

۴۳- فيض القدير، شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، محمد عبد الرؤوف المناوی، تصحيح: أحمد السلام،

ص: ۲۱۴

بیروت، دار الکتب العلمیة.

۴۴- الکافی، أبو جعفر محمد بن یعقوب الکلینی، تصحیح: علی أکبر الغفاری، دار الکتب الإسلامیة، ط الثالثة، ۱۳۸۸ ه.

۴۵- الکتاب المصنف فی الأحادیث والآثار، أبو بکر عبد اللّه بن أبی شیبة، تصحیح: محمد عبد السلام شاهین، بیروت، دار الکتب العلمیة، ۱۴۱۶ ق.

۴۶- لسان المیزان، أحمد بن علی ابن حجر العسقلانی، تحقیق:

بإشراف محمد عبد الرحمن المرعشلی، دار إحیاء التراث، ط. ۱۴۱۶ ق.

۴۷- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علی بن أبی بکر الهیثمی، بیروت، دار الکتاب العربی، ۱۴۰۲ ق.

۴۸- المعجم الکبیر، سلیمان بن أحمد الطبرانی، تحقیق: حمدی عبد المجید السلفی، القاهرة، مکتبة ابن تیمیة.

۴۹- المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد اللّه الحاکم النیسابوری، تحقیق: یوسف عبد الرحمن المرعشلی، بیروت، دار المعرفة.

۵۰- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقیق: بإشراف الدکتور عبداللّه بن عبد المحسن الترکی، بیروت، مؤسسة الرسالة، ۱۴۲۰ ق.

۵۱- نظم المتناثر من الحدیث المتواتر، محمد بن أبی الفیض

ص: ۲۱۵

الشهير بالكتّانی، بیروت، دار الکتب العلمیة، ط. الثانیة، ۱۴۰۷.

۵۲- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفی، علی بن أحمد السمهودی، تحقیق محمّد محی الدین عبدالمجید، بیروت، دار الکتب، العلمیة، ط. الرابعة، ۱۴۰۴ ه.

***

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللّهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لَم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمع من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایهٔ"القائمیّهٔ"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّهٔ الشمسیّهٔ (=۱۴۲۷ الهجریهٔ القمریّهٔ)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّهٔ الوطنیّهٔ: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّهٔ و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظهٔ هامّهٔ:

المیزانیّهٔ الحالیّهٔ لهذا المرکز، شَعبیّهٔ، تبرّعیّهٔ، غیر حکومیّهٔ، و غیر ربحیّهٔ، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّهٔ و العلمیّهٔ الحالیّهٔ و مشاریع التوسعهٔ الثّقافیّهٔ؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّهٔ) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحهٔ بقیّهٔ الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩